الفتوح المُنزّلة
في تفسير سورة الزلزلة
(دراسة لغوية بيانية تفسيرية)

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م

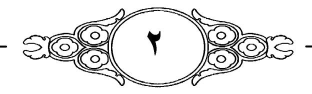
المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠١٣/١٠/٣٧٨١)

٢٢١.٩٦٢
النابلسي، أنس سليمان
الفتوح المنزلة في تفسير سورة الزلزلة: دراسة لغوي بيانية تفسيرية /أنس سليمان النابلسي._ عمان: دار المأمون للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.
(٩٦) ص
ر.أ: (٣٧٨١/ ١٠/ ٢٠١٣).
الواصفات: /تفسير القرآن//سورة القرآن//القرآن الكريم/

ردمك ١-١٨٨-٧٧-٩٩٥٧-٩٧٨ ISBN



دار المأمون للنشر والتوزيع
العبدلي - عمارة جوهرة القدس
تلفاكس: ٤٦٤٥٧٥٧
ص.ب: ٩٢٧٨٠٢ عمان ١١١٩٠ الأردن
E-mail : daralmamoun2005@hotmail.com



الفتوح المُنزّلة في تفسير سورة الزلزلة

(دراسة لغوية بيانية تفسيرية)

الدكتور

أنس سليمان المصري النابلسي



دار المأمون للنّشر والتَوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله واهب العطايا المنزَلة، ومعطي الهبات المجزلة، جامع الناس ليوم الزلزلة، والصلاة والسلام على خير الأنبياء المرسلة، وصحابته كرام المنزِلة، والتابعين لهم على خير المسألة، وبعد:

فقد أرشد الله –تعالى- إلى التبصّر بكتابه المبين، والتمسك بحبله المتين، فوعظ به قلوب المؤمنين، وحذّر به عباده العاصين، فجاءت سورة الزلزلة تسرد قصة البعث والنشور، وترصد الناس عند الخروج من القبور، وتحكي أهوال ذلك اليوم العظيم، وما سيؤول إليه البشر من الحساب بين يدي الواحد القيوم.

فحوت ألفاظها غاية من القوة والبلاغة، وحملت آياتها شدة في السبْك والصياغة؛ لتترك أثرها من الوعظ والترهيب، وتنذر الناس من هول ذلك اليوم العصيب.

فكان لا بد من دراسة آياتها بتمعن شديد، والوقوف على بلاغة عبارتها إلى حد بعيد، وتفسيرها لغة وبياناً وبلاغة، علّ الله تعالى أن ينفع به أصحاب القلوب، وأرباب العقول.

واللهَ أسأل أن يجعلها في مثاقيل خيرنا، وموازين حسناتنا، وأن ينفع بها قلب كل من اتعظ، ويجعلها زاداً لكل من أرشد ووعظ.

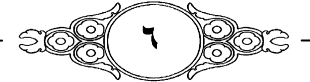
وصلى الله على خير البشر، وأفضل من أنذر وبشّر، والحمد لله رب العالمين.

- **تمهيد: في فضل السورة وموضع نزولها، وما يتعلق بها:**

أولاً: فضل سورة الزلزلة:

- **لقد صح عن النبي – ﷺ- أن سورة الزلزلة سورة جامعة؛ لما روى أبو داود وأحمد قالا: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ - ﷺ- فَقَالَ: أَقْرِئْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ!، فَقَالَ: اقْرَأْ ثَلاثًا مِنْ ذَوَاتِ ﴿الٓر﴾، فَقَالَ: كَبُرَتْ سِنِّي وَاشْتَدَّ قَلْبِي وَغَلُظَ لِسَانِي، قَالَ: فَاقْرَأْ ثَلاثًا مِنْ ذَوَاتِ ﴿حمٓ﴾، فَقَالَ: مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ ثَلاثًا مِنْ الْمُسَبِّحَاتِ، فَقَالَ: مِثْلَ مَقَالَتِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَقْرِئْنِي سُورَةً جَامِعَةً، فَأَقْرَأَهُ النَّبِيُّ -ﷺ- ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لا أَزِيدُ عَلَيْهَا أَبَدًا، ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: النَّبِيُّ -ﷺ-: أَفْلَحَ الرُّوَيْجِلُ، مَرَّتَيْنِ[1].**
- **وكرّر النبي – ﷺ- قراءتها في ركعتي الفجر[2]، وفيه إشارة إلى فضل هذه السورة وعلو شأنها لدرجة تكرار النبي – ﷺ - لها في صلاة مشهودة[3].**

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، أحمد ح(٦٢٨٧)، وإسناده حسن.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الرجل يعيد سورة واحدة في الركعتين، وصححه الألباني ثم قال: الظاهر أنه عليه السلام فعل ذلك عمداً للتشريع. انظر صفة صلاة النبي ص: ٨٠، وإسناده صحيح.
(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ سورة الإسراء: ٧٨.



- أما ما ورد من الأحاديث أنها تعدل ربع القرآن فكلها ضعيفة، ومنها:

ما رواه الترمذي وأحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: "مَنْ قَرَأَ إِذَا زُلْزِلَتْ عُدِلَتْ لَهُ بِنِصْفِ الْقُرْآنِ وَمَنْ قَرَأَ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ عُدِلَتْ لَهُ بِرُبُعِ الْقُرْآنِ وَمَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ عُدِلَتْ لَهُ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ"(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: هَلْ تَزَوَّجْتَ يَا فُلَانُ؟ قَالَ: لا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلا عِنْدِي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟، قَالَ: بَلَى، قَالَ: ثُلُثُ الْقُرْآنِ، قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: رُبُعُ الْقُرْآنِ، قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: رُبُعُ الْقُرْآنِ، قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: رُبُعُ الْقُرْآنِ، قَالَ: تَزَوَّجْ(٢).

➢ ثانياً: موضع نزولها:

اختلف العلماء على موضع نزولها على قولين:

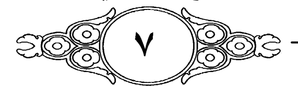
- **أرجحهما**: أنها مدنية، قاله ابن عباس وقتادة ومقاتل، وهو قول الجمهور(٣).

---

(١) وإسناده ضعيف، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

(٢) سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في إذا زلزلت، ومسند أحمد ح(١٢٠٣١). قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. قلت: فيه سلمة بن وردان: ضعّفه العلماء، وأحاديثه منكرة عن أنس لا توافق حديث الثقات، وقد روى هذا الحديث عن أنس.

(٣) تفسير القرطبي ١٤٦/٢٠، زاد المسير ٢٠١/٩، تفسير الثعالبي ٤٣٣/٤، فتح القدير ٤٧٨/٥، الدر المنثور ٥٩٠/٨، روح المعاني ٢٠٨/٣٠.



ورجحه –أيضاً- الإمام الطبري[1]، والسيوطي[2]، والصنعاني[3]، وأبو السعود[4]، والبغوي[5]، وقتادة[6]، والمقّري[7]، واستدل صاحب الإتقان على ذلك بما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري قال لما نزلت: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾، الآية. قلت: يا رسول الله إني لراءٍ عملي..، الحديث. وأبو سعيد لم يكن إلا بالمدينة ولم يبلغ إلا بعد أُحُد[8].

- وقال ابن مسعود وجابر وعطاء: إنها مكية[9]، ورجحه ابن كثير[10]، والواحدي[11].

➢ ثالثاً: عدد آياتها:

- ذكر عامة أصحاب التفاسير أنها ثماني آيات، وهو قول جمهور أهل العلم[12].

(١) تفسير الطبري ٢٦٥/٣٠.
(٢) الدر المنثور ٥٩٠/٨.
(٣) تفسير الصنعاني ٣٨٨/٣.
(٤) تفسير أبي السعود ١٨٨/٩.
(٥) تفسير البغوي ٥١٥/٤.
(٦) الناسخ والمنسوخ ٥٢/١.
(٧) في الناسخ والمنسوخ ٢٠٢/١.
(٨) الإتقان ٤٦/١.
(٩) تفسير القرطبي ١٤٦/٢٠، زاد المسير ٢٠١/٩، فتح القدير ٤٧٨/٥، روح المعاني ٢٠٨/٣٠.
(١٠) تفسير ابن كثير ٥٣٩/٤.
(١١) تفسير الواحدي ١٢٢٣/٢.
(١٢) تفسير الطبري ٢٦٥/٣٠، الدر المنثور ٥٩٠/٨، تفسير أبي السعود ١٨٨/٩، تفسير البغوي ٥١٥/٤، فتح القدير ٤٧٨/٥، تفسير النسفي ٣٥٢/٤.

- وذكر القرطبي أنها تسع آيات وتابعه الزمخشري على ذلك[١]؛ جعلا آية: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾، آيــة، و:﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أيــة أخرى[٢].

➢ رابعاً: ناسخ السورة ومنسوخها:

قال المقّري: ليس في سورة الزلزلة ناسخ ولا منسوخ[٣].

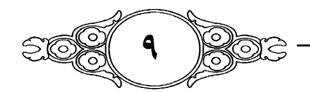
قلت: لأنها تروي أحداث يوم القيامة والحشر والنشور والحساب، مما لا يدخله نسخ في الأحكام، والله أعلم.

➢ خامساً: علاقتها بما قبلها من السور:

قال الإمام الرازي: ذكروا في مناسبة هذه السورة لما قبلها وجوهاً؛ منها: أنه -تعالى- لما قال: ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ رَّضِىَ....﴾ (في سورة البينة) فكأن المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب؟ فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾.

ومنها: أنه قال: لما ذكر فيها وعيد الكافرين ووعد المؤمنين أراد أن يزيد في وعيد الكافرين فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾، ونظيره: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[٤]، ثم ذكر ما للطائفتين فقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ

(١) تفسير الكشاف ٢٢٧/٤، تفسير القرطبي ١٤٦/٢٠.
(٢) التحرير والتنوير ٤٨٩/٣٠.
(٣) الناسخ والمنسوخ للمقري ٢٠٢/١.
(٤) سورة آل عمران:١٠٥.



وُجُوهُهُمۡ ﴾[1]، ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ ﴾[2]، ثم جمع بينهما هنا في آخر السورة بذكر الذي يعمل الخير والشر[3].

قلت: ولا يخفى ما بين قوله في "الزلزلة": ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا﴾ وقوله في سورة العاديات: ﴿إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ من المناسبة.

➢ تنبيه:

قال العكبري[4]: سورة الزلزال، والظاهر أنه اسم لهذه السورة مشتق من أصل اسمها.

(١) سورة آل عمران: ١٠٦.
(٢) سورة آل عمران: ١٠٧.
(٣) التفسير الكبير ٢٥٣/٢١، أسرار ترتيب القرآن ١٥٥/١-١٥٦.
(٤) إعراب القراءات الشواذ ٧٣٣/٢، بلاغة القرآن الكريم ٦٧٧/١٠.

◆ تفسير آيات سورة الزلزلة:

المطلب الأول

في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾

إذا: شرطية، والعامل فيها جوابها؛ وهو قوله تعالى: (تحدث) أو (يصدر)، فيكون معناه: إذا زلزلت الأرض فإنها تحدث أخبارها، أو فإنه يصدر الناس، وجاز أن يكون العامل فيها جواباً مقدراً، أي: إذا زلزلت... يكون ما لا يدرك كنهه أو نحوه.

و(يومئذ) بدل من (إذا)، وتقديره: إذا زلزلت الأرض فإنها تحدث أخبارها، وقيل: التقدير: اذكر إذا زلزلت، فعلى هذا يجوز أن يكون (تحدث) عاملاً في (يومئذ) وأن يكون بدلاً.

وجاز أن تكون (إذا) ظرفاً لما يستقبل من الزمان بمعنى الشرط[1]، مبني على السكون في محل نصب، خافض لشرطه[2]، فيكون معناه: عندما تتزلزل الأرض فإنها تحدث....

قلت: وإذا: تفيد اللقاء والمفاجأة، تدل على زمان المستقبل ويجيء ما بعدها على صيغة الماضي، لتفيد تأكيد وقوعه، ومفاجأته، والعرب تُنزِّل

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٥٤٠/٤، تفسير القرطبي ١٤٧/٢٠،٣٤، تفسير الكشاف ٢٢٧/٤، تفسير البيضاوي ٥١٨/٥، تفسير الطبري ٢٦٥/٣٠، تفسير الواحدي ١٢٢٣/٢، الدر المنثور ٥٩٢/٨، تفسير أبي السعود ١٨٨/٩، تفسير البغوي ٥١٥/٤، فتح القدير ٤٧٨/٥-٤٧٩، زاد المسير ٢٠١/٩-٢٠٢، تفسير النسفي ٣٥٢/٤، روح المعاني ٢٠٨/٣٠-٢١٠، التبيان في إعراب القرآن ٢٩٢/٢، البرهان في علوم القرآن ٣٩١/٢-٣٩٢، ٣٩٦-٣٩٧، مشكل إعراب القرآن ٨٣٤/٢-٨٣٥، النكت والعيون على تفسير الماوردي ٣١٨/٦، تفسير ابن عطية ٥٣٦/١٥، نهج البيان عن كشف معاني القرآن ٤٠٢/٥، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٣٥٨/٢٩.

(٢) بلاغة القرآن الكريم ٦٧٨/١٠.



المستقبل منزلة الماضي؛ لتأكيد الفعل دون استخدام أداة لذلك، كقوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾[1].

ولقائل أن يقول: (إذا): للوقت، فكيف وجه البداية بها في أول السورة؟، وجوابه: من وجوه:

الأول: كانوا يسألونه: متى الساعة؟، فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، كأنه -تعالى- قال: لا سبيل إلى تعيينه بحسب وقته ولكني أعيّنه بحسب علاماته.

والوجه الثاني: أنه – تعالى- أراد أن يخبر المكلف أن الأرض تحدّث وتشهد يوم القيامة مع أنها في هذه الساعة جماد، فكأنه قيل: متى يكون ذلك؟، فقال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[2].

وجاز أن تكون مقدرة بعد قوله: يحشرون إذا...[3].

وقال: (إذا)، ولم يقل: (إن)؛ لأن كلمة (إن): للمجوَّز وقوعه، و(إذا): للمقطوع به، تقول: إن دخلت الدار فأنت طالق؛ لأن الدخول يجوز، أما إذا أردت التعليق بما يوجد قطعاً، لا تقول: إن، بل تقول: إذا، نحو: إذا جاء غد فأنت طالق؛ لأنه يوجد لا محالة، هذا هو الأصل، فإن استعمل على خلافه فمجاز، فلما كان الزلزال مقطوعاً به قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾[4].

﴿زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾: فعل ماضٍ مبني للمجهول مبني على الفتح، والتاء: تاء التأنيث الساكنة لا محل لها من الإعراب حُرِّكت بالكسرة لالتقاء الساكنين،

---

(١) سورة الروم:٢.
(٢) التفسير الكبير ٢٥٣/٢١.
(٣) تفسير ابن عطية ٥٣٦/١٥.
(٤) التفسير الكبير ٢٥٣/٢١.

والجملة: في محل جر بالإضافة[1]، كأنه قال: عند زلزلة الأرض....

قال الزجاج: أصل الزلزلة: من زلَّ الشيء عن مكانه، فإذا قلت: زلزلته، فمعناه: كررت زلله من مكانه، وتكون في الأشخاص والأحوال، فيقال: زلزل الله الأرض، ويقال: زُلزلوا: بمعنى خوفوا وحُرّكوا، والزلازل: الشدائد.

وزلزال الأرض: تحركها من أسفلها، أو من أصلها، تحركاً عنيفاً متكرراً متداركاً، ورجها رجاً.

ويكون ذلك لقيام الساعة، وهو في النفخة الأولى لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[2]، ثم تتزلزل ثانية فتخرج موتاها، وهي الأثقال؛ لذلك قال: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

وقيل: ترتج من صوت إسرافيل ولا تسكن حتى تُلقي ما على ظهرها من جبل أو بناء أو شجر ثم تتحرك وتضطرب فتخرج ما في جوفها[3].

قلت: بُني الفعل للمجهول إشارة إلى أن التركيز على الحدث دون الحاجة إلى ذكر فاعله؛ لتعظيمه والتخويف منه، والفعل (زلزل) في أصله متعدٍّ، والفاعل المقدر؛ إما أن يكون الله -تعالى-، أو أمره، أو الملك الموكل بالزلازل، ويمكن أن يكونوا ثلاثتهم هو الفاعل، بأن الله -تعالى- أمر الملك أن يزلزل الأرض، فزلزل الملك الأرض، فالله -تعالى- هو الفاعل في الأصل، والملك فاعل مباشر للفعل بأمر من الله، ولكي يُفهم ذلك دون إطالة للحديث بُني الفعل للمجهول، وتقدير الفعل على المعلوم: إذا أمر الله -تعالى- الملك ليزلزل الأرض فزلزل الملك الأرض....

ولما كان المخوَّف منه هو الزلزلة ولم يُعلم فاعلها، وكان البناء للمفعول يدل على سهولة الفعل ويسره جداً، بُني للمفعول[4].

(١) بلاغة القرآن الكريم ٥٦٧/١٠.
(٢) سورة النازعات:٦-٧.
(٣) المصادر السابقة في تفسير أول الآية.
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٠٤/٨.

قلت: تكررت حروف الفعل (زُلزِل) لفظاً لتدل على تكرار وقوعه مرة بعد أخرى؛ فعاد فيه من وسطه إلى أول حرف بطريقة تُشعر السامع بإعادة الفعل مرة تلو أخرى.

قال الإمام الرازي: هو كالصرصر في الريح، ففيه معنى التكرير[1]، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[2].

قلت: ومثلها قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾[3]**، فإنها تشير إلى تكرر فعل كبّ الكفار على وجوههم في النار، وكقوله:** ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[4]**، إي أن الله أعاد عليهم العذاب مرة بعد مرة، وكرر فيهم الدمار حتى بلغ الأمر منتهاه، وقوله:** ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾[5]**، وقوله:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[6]**، وقوله:** ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾[7]**، فكل هذه الآيات تشير إلى تكرار وسوسة الشيطان لابن آدم ومعاودته على ذلك مرة بعد أخرى.**

وفيها أيضاً معنى التطويل؛ وهو مقتضى التكرار وناتج عنه في الغالب، وكذلك فيه معنى الصعوبة والمشقة، وهو كقوله – تعالى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ

(١) التفسير الكبير ٢١/٢٥٤.
(٢) سورة الحاقة:٦.
(٣) سورة الشعراء: ٩٤.
(٤) سورة الشمس:١٤.
(٥) سورة الأعراف:٢٠.
(٦) سورة ق:١٦.
(٧) سورة الناس:٥.

ﭐلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[1]، وكقوله – تعالى-: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾[2]، فالزحزحة في الآيتين أشارتا إلى المشقة والتطويل، وهذا أفاده تكرار الأحرف وإعادتها، والله أعلم.

وفي قراءة شاذة عن أبي عمرو: (زِلزلت) بكسر الأول، والأشبه أنه أتبع كسرة الأولى كسرة الزاي الثانية[3].

واللام في الأرض: عهدية، وتشير إلى عموم الأرض لا جزء منها، فيشمل الزلزال جميع نواحي الأرض المعهودة.

وزلزالها: مصدر أضيف إلى فاعله، وذكر للتأكيد، ويمكن أن يكون صفتها، قالوا: وهو عوض عن تكرار الفعل مرتين، فقولك: ضربت ضرباً، بمنزلة قولك: ضربت ضربت، ثم عدلوا عن ذلك واعتاضوا عن الجملة بالمفرد...، ثم اختلفوا في فائدته فقيل: إنه يرفع المجاز عن الفاعل، فإنك تقول ضرب الأميرُ اللصَّ، ولا يكون باشر، بل أمر به، فإن قلت: ضرباً عُلم أنه باشر، وممن نص على ذلك: ثعلب في "أماليه" وابن عصفور في "شرح الجمل الصغير".

والصواب: أنه إنما يرفع الوهم عن الحدث لا عن المحدَّث عنه فإذا قلت: ضرب الأمير، احتمل مجازين: أحدهما: إطلاق الضرب على مقدماته، والثاني: إطلاق الأمير على أمره، فإذا أردت رفع الأول، أتيت بالمصدر، فقلت: ضرباً، وإن أردت الثاني قلت: نفسه أو عينه، ويسمى هذا تأكيداً صناعياً، وفائدته أن يؤكد الفعل بالمصدر.

فأضيف هنا إلى الأرض؛ لكونه الزلزال المخصوص بها الذي تستوجبه

---

(١) سورة آل عمران:١٨٥.
(٢) البقرة:٩٦.
(٣) إعراب القراءات الشواذ ٧٣٣/٢.

في الحكمة ومشيئة الله، ونحوه قولك: أكرِم التقيَّ إكراماً وإكرامَه، وأهِنِ الفاسقَ إهانةً وإهانتَه، تريد ما يستوجبانه مِنَ الإكرام والإهانة، وحسُن ذلك لموافقته رؤوس الآي بعدها.

وهو أيضاً: الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه، أو زلزالها العجيب الذي لا يقدّر قدره، أو زلزالها الداخل في حيز الإمكان، غاية ما يمكن أن يكون، بمعنى الاستغراق لأن "زلزالاً": مصدر مضاف، فيعم، أي: زلزالها كله وهو استغراق عرفي قصد به المبالغة، وانتصب ههنا على المصدر تجوزاً لسده مسد المصدر.

وقرئ بكسر الزاي وفتحها؛ فالمكسور مصدر، وليس في الأبنية فعلاً بالفتح إلا في المضاعف، وقد قرأها بالفتح: عاصم الجحدري وعيسى بن عمر، وهو مصدر أيضاً كالوسواس والقلقال والجرجار، وعند ابن مالك هو بمعنى اسم الفاعل، أي: زلزالها بمعنى: مزلزِلها؛ كصلصال بمعنى مصلصِل وقضقاض بمعنى مقضقِض ووسواس بمعنى موسوِس وليس مصدراً[١].

ومنهم من جعلها –أي: زَلزالها-: اسماً للحركة، ونصبوه تجوزاً لسده مسد الخبر[٢].

والكلمة مثلّثة فيمكن أن تكون مصدراً على جميع أحوالها؛ قال الفيروزآبادي: الزِّلزال، والزَّلزال، والزُّلزال: مثلثة الزاي، مصادر زلزل، زلزلة وزلزالاً[٣].

قلت: وإضافة المصدر إلى نائب الفاعل دلّ أن هذا الزلزال قد بلغ منتهاه، وكان إيذاناً بانتهائها، وذلك بعدوله إلى استخدام (زلزالها)، بدلاً من "زلزلتها"، وحسّن ذلك سياق رؤوس الآي.

وقال الزحيلي: الإضافة للتهويل[٤].

---

(١) المصادر السابقة في تفسير أول الآية.

(٢) حاشية القونوي ٣٨٨/٢٠.

(٣) القاموس المحيط ص١٣٠٥، مادة: (زلزل)، والدرر المبثثة في الغرر المثلثة ص١٢٤.

(٤) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٣٥٨/٢٩.

قلت: وجائز أن يكون ذلك كله.

وعلى اعتبار القراءة التي بفتح الزاي (زَلزالها): يمكن أن تكون مفعولاً به أضيف إلى فاعله، فإنه يفيد خصوص الحدث لصاحبه، كقولنا: أكل الولد تفاحته، وأكرم الرجل ضيفه، فإنه أفاد خصوص المفعول للفاعل دون غيره، فتكون الزلزلة خاصة للأرض دون غيرها.

ولم يذكر شيئاً بعد (زلزالها) وأبهم صفته أو أي متعلق به؛ لتذهب النفس فيه كل مذهب، ولو شرح بما يليق به لطال الشرح[١]، وذهبت الغاية في سرد الأحداث تلو بعضها البعض وتثاقلت أذن السامع عن المتابعة والتشويق لما سيحدث بعد ذلك، فكان إطلاقها أنسب من ذكرها.

و(زلزلت)، و(زلزالها): بينهما جناس الاشتقاق[٢].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٨/٥٠٤.
(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٢٩/٣٥٨.

المطلب الثاني

في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾

(الواو): عاطفة، و(أخرجت): فعل ماضٍ مبني على الفتح، و(التاء): للتأنيث ساكنة لا محل لها من الإعراب، وحُرّكت للالتقاء الساكنين. و(الأرض): فاعل مرفوع بالضمة، والجملة الفعلية (أخرجت الأرض): معطوفة على (زلزلت الأرض) في محل جر بالإضافة أيضاً، وتقديرها: وإذا أخرجت...، و(أثقال): مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة وهو مضاف، والهاء: ضمير متصل مبني على السكون في محل جر مضاف إليه(1).

والأثقال: جمع ثقل؛ وهو متاع البيت، قال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾(2)، فجعل ما في جوفها من الدفائن أثقالاً لها(3).

وقال ابن عباس: يكون بمعنى أمواتها، فإذا كان الميت في بطن الأرض؛ فهو ثقل لها وإذا كان فوقها؛ فهو ثقل عليها(4).

لذلك يُقال للإنس والجن: الثقلان، قالت الخنساء:

أبعد ابن عمرو من آل الشريد   حلّت به الأرض أثقالها

قالته لما دُفن عمرو وصار حلية لأهل القبور لشرفه وسؤدده.

وذكر بعض أهل العلم قال: كانت العرب تقول: إذا كان الرجل سفاكاً

---

(1) بلاغة القرآن الكريم ٦٧٨/١٠.

(2) سورة النحل:٧.

(3) تفسير الكشاف ٢٢٧/٤، تفسير البيضاوي ٥١٨/٥، تفسير أبي السعود ١٨٨/٩.

(4) التبيان في تفسير غريب القرآن ٤٧١/١، تفسير الثعالبي ٤٣٣/٤، تفسير الواحدي ١٢٢٣/٢، تفسير النسفي ٣٥٢/٤، تفسير مجاهد ٧٧٥/٢.

للدماء؛ كان ثقلاً على ظهر الأرض فلما مات حطّت الأرض عن ظهرها ثقلها.

وتقيء الأرض أثقالها: كنوزها، ومنه الحديث: "تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة"[1]، وعندها يتحسر العصاة إذا نظروا إليها حيث عصوا الله -تعالى- فيها ثم تُركوا لا تغني عنهم شيئاً.

وقيل: إن ذلك لتتكوى بها جباه الذين كنزوا وجنوبهم وظهورهم[2].

ويجوز أن يكون لكل ما استودعت من هذا كله[3].

وقيل: الأثقال: كل نفيس مصون، وتُجُوِّز به ههنا على سبيل الاستعارة عن الثاني، ويجوز أن يكون: جمع ثِقْل - بكسر فسكون- بمعنى: حَمْل البطن على التشبيه والاستعارة أيضاً كما قال الشريف الرضي في "الدرر"[4] وأشار إلى أنه لا يطلق على ما ذكر إلا بطَريق الاستعارة.

ومنهم من فسر الأثقال ههنا بالأسرار وهو -مع مخالفته للمأثور- بعيد[5].

وإنما اختيرت الواو على الفاء في قوله: "وأخرجت" تفويضاً لذهن السامع كذا قيل، ولعل الظاهر أنه لم تُرد السببية والمسببية بل ذكر كل مما ذكر من الحوادث من غير تعرض لتسبب شيء منها على الآخر[6]؛ لأن أصل الواو العطف؛ حيث يشترك العاطف مع المعطوف عليه في الإعراب والحكم، فهي لمطلق الجمع على الصحيح ولا تدل على أن الثاني بعد الأول [إلا بقرينة]، بل قد يكون قبله وقد يكون معه، وهنا الإخراج متأخر عن الزلزال وذلك معلوم من قضية الوجود لا من الواو[7].

---

(١) صحيح. رواه مسلم، صحيح مسلم، ح(١٠١٣).
(٢) تفسير القرطبي ١٤٧/٢٠، تفسير ابن كثير ٥٤٠/٤، تفسير الطبري ٢٦٦/٣٠، الدر المنثور ٥٩٢/٨، تفسير البغوي ٥١٥/٤، فتح القدير ٤٧٨/٥، تفسير النسفي ٣٥٢/٤، روح المعاني ٢٠٩/٣٠.
(٣) تفسير الصنعاني ٣٨٨/٣.
(٤) وكذا في تلخيص البيان في مجازات القرآن ص٣٥٩.
(٥) روح المعاني ٢٠٩/٣٠.
(٦) روح المعاني ٢٠٩/٣٠.
(٧) البرهان في علوم القرآن ٤٣٦/٤، وما بين المقوفتين من المؤلف.

قلت: ويجوز أن تكون الواو ههنا للتسلسل الزمني، دون الإشارة إلى السببة، وكرر لفظ (الأرض) مرة ثانية، حتى لا يُظن ذلك، فأسند الإخراج إلى الأرض لا إلى الزلزلة، ولم يترك ذكر الفاعل، حتى لا ينصرف الذهن إلى إسناد فعل (الإخراج) إلى الزلزلة.

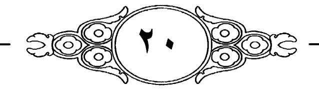
وقال آخرون: وإظهار الأرض في موقع الإضمار لزيادة التقرير، أو للإيماء إلى تبدُّل الأرض غير الأرض؛ أو لأن إخراج الأثقال حالُ بعض أجزائها، وأن إخراجها ذلك مسبَّب عن الزلزال كما ينفض البساط ما فيه من الغبار ونحوه[1].

قلت: أي: فيه إشارة إلى أن الأول أثّر في وجود الثاني، وهو لاحق به، فكان أحد موجبات الزلزلة إخراج الأثقال، وهذا أيضاً مثل اهتزاز اللبن يخرج ما فيه من زبدة وغيرها، واهتزاز الحديد عند صهره وغليانه، يخرج خبثه، واهتزاز الناس وزلزلتهم وابتلائهم يخرج ما في قلوبهم من إيمان أو نفاق، كما زلزل الله المسلمين في عدة غزوات، فأخرجوا ما أثقل قلوبهم، فامتازت عنهم وجوه المنافقين وارتدوا على أعقابهم وميزهم الله عن باقي المؤمنين، فقال – تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ ﴾[2]، وقوله – تعالى-: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[3]، فالحاصل أن الزلزلة نوعان: معنوية وحسية؛ وكلاهما يخرج ما في قلب صاحبه من أثقال، فيظهر ما كان خافياً فيه.

واستخدام (أثقالها) دون غيرها من الألفاظ مثل: أحمالها، يرجع إلى أن الثقل يثبّت المثقَل ويحميه عن الزوغان ففي الأرض أثقال من معادن وغيرها تحفظها في مدارها المعهود، فإذا جاء يوم الزلزلة، وأُخرجت تلك الأثقال، وصارت الأرض خفيفة –لأن الخفة عكس الثقل-؛ اختل نظامها، وخرجت عن

---

(١) تفسير أبي السعود ١٨٨/٩، روح المعاني ٢٠٩/٣٠، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٣٥٨/٢٩.
(٢) سورة البقرة:٢١٤.
(٣) سورة الأحزاب:١١.



مسارها، قال – تعالى-: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[1].

والثقل يختلف عن الحمل، ذلك أن الثقل أشد من الحمل، فالثقل يطلق على الحمل الثقيل، والحمل: منه الثقيل والخفيف، فلا يستطيع المُثقل حمل غيره، ويوشك أن يضعه، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا ...﴾[2]، ومثله قوله تعالى: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[3]، وفيه معنى واضح في الفرق بين الحِمل الثِّقَل.

وكذلك فإن الثقل فيها معنى التعب والمشقة والجَهد الذي لا يكاد يُطاق، بعكس الحِمل أو غيره[4]، قال –تعالى-: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾[5]، وفيه إشارة إلى أن هذا المحمول غير محبّب ولا مرغوب فيه، ومثله قوله –تعالى-: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾[6].

ولأن الأثقال يمكنها أن تتضمن معنى الوزر والذنب، كما في قوله –

---

(١) سورة النحل:١٥.
(٢) الأعراف:٥٧.
(٣) سورة الأعراف:١٨٩.
(٤) لسان العرب ١٨٢/١١، مادة: (ح م ل).
(٥) سورة فاطر:١٨.
(٦) سورة الطور:٤٠.

تعالى-: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[1]، أي: أوزارهم وآثامهم[2].

وكذا أن الثقل يكون خفياً، والشيء إذا خفي عليك ثقُل، كما في قوله – تعالى-: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

فكل هذه الأوصاف من تعب ومشقة وجهد مع تأفف، وقرب وضع لشيء غير مرغوب فيه ولا محببٌ لدى حامله ومختفٍ عن الأنظار، لا يمكن لأي لفظ أن يعبر بها إلى تلك هذه الدرجة من الدقة مثل لفظ (أثقالها)، فكان أولى من غيره، وأنسب لما وُضع له.

أما قوله –تعالى-: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[4]: فلعظمه؛ وبلوغ الجهد من النبي – ﷺ- عند تلقيه، ولما فيه من أحكام وتكليف، يثقل العمل بها على غير المؤمن، ولا يؤديها إلا الموقن، وأما المنافقون وأمثالهم فمُعرِضة قلوبهم وجوارحهم عن العمل بها وسترغب عنها نفوسهم وتأباها.

وفيه أيضاً معنى الخفاء والإيحاء دون مشاهدة[5]؛ لذلك قال: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾[6]، فوصفه يوماً ثقيلاً عليهم

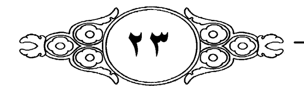
(١) سورة العنكبوت:١٣.
(٢) لسان العرب ٨٥/١١، مادة: (ث ق ل).
(٣) سورة الأعراف:١٨٧.
(٤) سورة المزمل:٥.
(٥) لسان العرب ٨٦/١١، مادة: (ث ق ل).
(٦) سورة الإنسان:٢٧.

لانطباق تلك الأوصاف فيه، والله أعلم.

وفي هذه الآية إشارة إلى أن الجنّ تدفن مثل الإنس أيضاً[1]؛ لإضافة الأثقال إلى الأرض المعهودة، واحتمال كون معنى الأثقال: الأموات؛ فصارت الأرض كالأم إذا أثقلها الجنين وتعبت منه، أخرجته من بطنها، وهو ثقل عليها على الرغم من أنه جزء منها في الأصل، والأرض -كذلك- تخرج كنوزها وأمواتها وتعدّهم ثقلاً عليها على الرغم من أنها أصلهم ومردّهم.

وجاء نظم الآية الأولى مشابهاً للثانية، وكلاهما عالية الجَرْس في الصوت، وقصيرة المقاطع في اللفظ، وتكثر فيهما حروف الشدة على حروف اللين والعلة، لتُشعر السامع بمدى اهتزاز الحدث واضطرابه وقوته، واستمرار ذلك في الآيتين على التوالي يُشعر بطوله في الواقع والحال.

(١) تفسير المراغي ٤٧٤/١٠.



المطلب الثالث

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾

(الواو): للنسق.

و(قال): فعل ماضٍ مبني على الفتح، و(الإنسان): فاعل مرفوع بالضمة[1].

وقول الإنسان تبع لما جرى في الآيتين السابقتين، وفيه معنى السبب، أي أن هذا الاستنكار مردّه لما جرى من أحداث.

وقال الإنسان: فالإنسان كل فرد من أفراده، أي: أنه اسم لجنسه، واللام فيه للجنس.

وبسبب ما دهمه من الطامة التامة، وأبهره من الداهية العامة، والأمر الفظيع، يتساءل قائلاً: ما لها تزلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها؟، ويكون ذلك عند النفخة الثانية؛ عند البعث والنشور، فتتحرك الأرض وتُخرج أمواتها وقد رأوا انشقاقها عنهم، فيتساءلون من هول ما رأوا.

ويمكن أن تكون هذه الزلزلة قبل الساعة، ومقدمة من أشراطها، فيوقن الإنسان أن الساعة دنت، ويسأل بعضهم بعضاً عن حقيقة ما يجري.

ويجوز أن يكون السؤال من الكافر؛ لأنه لا يؤمن بالبعث، فتبغته الزلزلة، ويتساءل عنها استعظاماً لما رأى من هول الموقف، وسيّرت الجبال أمام عينيه، وصارت هباءً؛ كقوله -تعالى-: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾؟[2]، فأما المؤمن فإنه يعلم ما لها، فيقول: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ

---

(١) بلاغة القرآن الكريم ١٠/٦٧٨.

(٢) سورة يس:٥٢.



ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[1].

وعن ابن عباس قال: القائل هو الأسود بن عبد الأسد. فيكون ذلك بأن الله – سبحانه- أطلق كل جنس الإنسان وأراد فرداً من أفراده على سبيل المجاز.

فإن كان القول قول الإنسان بكل أفراده فإن:

ما لها؟!: تكون كلمة تعجب منهم، واستغراب واستهجان، أي: ما لها زلزلت؟، وقيل: ما لها أخرجت أثقالها؟، أي: لأي شيء زلزلت؟[2]، وفعلت ما فعلت؟

أما إن كان من قول الكافر فتكون: كلمة استنكار لأمرها –أي سؤالاً استنكارياً-، بعد أن كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها، ثم جرى ما رآى فاستنكره لعدم سابق عهد له به[3].

قلت: وأفاد ذلك قوله تعالى: (وقال)، ولم يقل: وسأل أو تساءل، لأن السؤال المجرد في أصله يكون لهدف النفع والمعرفة، وأما مجرد القول فيكون هنا للاستنكار دون فائدة تُرجى من إجابته مهما كانت، فلا يمكن للإنسان إذا علم سبب تزلزل الأرض –آنذاك- أن يمنعه أو يتّقيه، فكان سؤاله لمجرد الاستنكار والانتقاد، وقوّى معنى ذلك بأنه قال: (ما لها)؟، ولم يقل: ما بها؟، فالأول أقرب للاستنكار من الثاني الذي يكون للتساؤل، كالفرق بين قولينا: ما الذي جرى بك؟ مستفسرين، وما الذي جرى لك؟ مستغربين ومستنكرين، وحسّن ذلك تناسقه مع رؤوس الآي.

قال الإمام الرازي: هو ليس بسؤال بل هو تعجب لما يرى من العجائب

---

(١) تفسير الكشاف ٢٢٧/٤، تفسير البيضاوي ٥١٨/٥، تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠، تفسير الطبري ٢٦٦/٣٠، الدر المنثور ٥٩٢/٨، تفسير أبي السعود ١٨٨/٩، فتح القدير ٤٧٨/٥، زاد المسير ٢٠٣/٩، تفسير النسفي ٣٥٢/٤، روح المعاني ٢٠٩/٣٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠، تفسير الثعالبي ٤٣٤/٤، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٣٥٨/٢٩.

(٣) تفسير ابن كثير ٥٤٠/٤، تفسير الواحدي ١٢٢٣/٢.

التي لم تسمع بها الآذان ولا يُطلق بها لسان[1].

ولا مانع من أن تكون من قول بعض المؤمنين؛ لما أدهشهم من هول المرأى على الرغم من معرفتهم المسبقة بذلك، وإيمانهم به، وذلك كقوله – ﷺ-: "ليس الخبر كالمعاينة"[2]، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾[3].

وقوله: (ما لها): (ما): ابتداء استفهامي، اسم تام، و(لها): الجار والمجرور خبر[4]، أو متعلق بخبر محذوف تقديره: ما الذي هو كائن لها؟، أو ما الذي استقر لها؟، والجملة الاسمية: في محل نصب مفعول به – مقول القول-[5]، و(اللام): للصلة[6].

والسؤال بـ(ما): يكون للاستفسار عن حقيقة الشيء أو صفته، فالأول: مثل هذا، ففي هذه الآية وقع السؤال عن حقيقة الشيء الذي دفع الأرض ففعلت ما فعلت، أما السؤال عن صفة الشيء فتكون حقيقته معروفة، وصفته مجهولة كقولنا لأحدهم: رأيت أسداً، فيقول: وما الأسد؟

واختصار السؤال واقع من الإنسان، ولذلك لم يقل: ما الذي يجري لها؟، أو: ما لها زلزلت وأخرجت؟، وذلك لأن الحدث جلل، والأمر خطير، وفي هذه الأحداث تقصر الكلمات وتختصر بقدر المستطاع لضيق الزمان وهوله، فمنذر الحريق -مثلاً- يتحول عن قوله: احذر خلفك حريق، إلى قوله: حريق... حريق، فيختصر الكلام ويُدلي بالمعلومة في أقصر وقت وعبارة، فوقع في هذا السؤال إيجاز.

وخصّ كلمة (الإنسان) بالذكر ولم يقل: "الناس" مثلاً أو "البشر"؛ ذلك

(١) التفسير الكبير ٢٥٥/٢١.
(٢) تفسير ابن عطية ٥٣٧/١٥، والحديث رواه أحمد في المسند ٢٥٤/٣، وصححه ابن حجر وأحمد شاكر والألباني.
(٣) تفسير المراغي ٤٧٤/١٠. والآية من سورة الحج:٢.
(٤) فتح القدير ٤٧٨/٥، مشكل إعراب القرآن ٨٣٥/٢.
(٥) بلاغة القرآن الكريم ٦٧٨/١٠.
(٦) معجم حروف المعاني في القرآن الكريم ٨٨٦/٢.

أن لفظ الإنسان مشتق من النسيان، وأصله "إنسيان"، وسمي الإنسان بذلك لأنه ينسى في ذلك الحدث عمله وما اقترف، كما ينسى أن الله حذّره من ذلك الموقف في وحيه قبل ذلك، فقال: ما لها؟، فناسب أن يذكره الله بهذه الصفة، والتي تغيّرت بعد بيان السبب في قوله -تعالى-: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، وتذكّره ما اقترفه على ظهرها، بعد إخبارها بكل ذلك، وإقامة الحجة عليه فيه، فوصفه الله حينها بـ(الناس)، ورفع عنه صفة النسيان، فلم يقل: يومئذٍ يصدر الإنسان، بل قال: (يصدر الناس).

قال الإمام البغوي وغيره: وقيل: إن في الآية تقديم وتأخير، تقديره: يومئذ تحدث أخبارها، فيقول الإنسان: ما لها؟، أي: تخبر الأرض بما عُمل عليها. فإن السياق لم يُبِنْ ما أراد بقوله: ما لها؟، ولا أبان ما أصيب به الإنسان، وإنما هو ظاهر التلاوة، وهو كقول القائل: قال فلان: ما لك يومئذ؟ وإنما يريد: قال فلان: يومئذ ما لك؟، وهو تقديم وتأخير[1].

---

(١) تفسير البغوي ٤/٥١٥، فهم القرآن ص٤٧٨-٤٧٩.

المطلب الرابع

في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾

يومئذ: منصوب بقوله: (إذا زلزلت)، وقيل: بقوله: (تحدث أخبارها)؛ أي: تخبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر يومئذ[١].

ويجوز أن يكون بدلاً من (إذا)، والعامل فيهما قوله: (تحدث أخبارها)، أي: يوم تزلزل الأرض فإنها تحدث أخبارها. ويجوز أن يكون العامل في (إذا) محذوفاً، والعامل في (يومئذ): (تحدث)، والمعنى: يوم إذا زلزلت وأخرجت تخبر بأخبارها وتحدثهم بما عُمل عليها من خير أو شر[٢].

وجاءت كلمة (إذ) بعد (يوم) تحديداً للحدث وتعييناً له[٣].

قلت: فقولك "يومئذٍ"، أكثر تحديداً من: "يوم يصير كذا وكذا" وأشد اختصاراً؛ فإضافة (يوم) لـ(إذ) يحصر تحديث الأرض في الوقت الذي تتزلزل فيه، ويزيل شبهة التراخي في الزمن بينهما، والله أعلم.

وتحدث أخبارها: أي: تحدث من كان على ظهرها من أهل الطاعة والمعاصي وما عملوا عليها من خير أو شر، فعن سفيان: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾؛قال: ما عمل عليها من خير أو شر، وعن مجاهد قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾، قال: تخبر الناس بما عملوا عليها[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠، تفسير الكشاف ٢٧٧/٤، تفسير البيضاوي ٥١٨/٥، زاد المسير ٢٠٣/٩، روح المعاني ٢٠٩/٣٠-٢١٠.

(٢) فتح القدير ٤٧٨/٥، تفسير الكشاف ٢٧٧/٤، تفسير البيضاوي ٥١٨/٥، تفسير أبي السعود ١٨٨/٩-١٨٩.

(٣) الفروق في اللغة ص٤٩٠.

(٤) تفسير الطبري ٢٦٧/٣٠، تفسير مجاهد ٧٧٥/٢، تفسير الواحدي ١٢٢٣/٢، روح

ومفعول (تُحدِّث) الأول: محذوف، والثاني: هو (أخبارها)، أي: تحدث الأرضُ الخلقَ أخبارَها، إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيماً لليوم[1] والحدث.

ومنهم من نصب (أخبارها) على نزع الخافض، وهو الباء؛ لأن العرب تقول: حدّث كذا، وحدّث بكذا.

قلت: وحذف الباء مقصود في المعنى؛ فالباء تستخدم عند التحديث والسماع وأمثال ذلك للواسطة، وتفيد الاستعانة وعدم المباشرة بين الفعل وما يتعلق به عند حدوثه، مثل قوله - تعالى-: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا **أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا** فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2]، فإن المسلمين لا يعرفون أوصاف الرسول - ﷺ- في التوراة والإنجيل ولولا ما يحدّث به أهل الكتاب، فبيّن القرآن قوله: ﴿بِمَا فَتَحَ﴾ أن هناك واسطة تحديث لهذه الأوصاف وهم اليهود، قال الآلوسي: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: أي تخبرون المؤمنين بما بيّنه الله - تعالى- لكم خاصة من نعت نبيه محمد - ﷺ- أو من أخذ العهود على أنبيائكم بتصديقه - ﷺ- ونصرته، والتعبير عنه بالفتح للإيذان بأنه سر مكتوم وباب مغلق[3].

ومثلها قوله –تعالى-: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ

المعاني ٣٠/٢٠٩-٢١٠.

(١) تفسير النسفي ٣٥٢/٤، فتح القدير ٤٧٨/٥، تفسير الكشاف ٢٧٧/٤، التفسير الكبير ٢٥٥/٢١.

(٢) سورة البقرة:٧٦.

(٣) روح المعاني ٢٩٩/١، تفسير أبي السعود ١١٧/١.

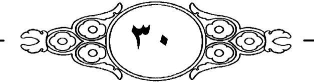
﴿أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً **مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا** فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾(١)، **وقوله –تعالى-:** ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى **وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا** فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾(٢)، **ومثله قوله - تعالى-:** ﴿**مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا** فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾(٣)، **فكل هذه الآيات أشارت إلى أن هؤلاء الكفار لم يسمعوا مثل أقوال أنبيائهم من أجدادهم الأوائل، فسماعهم في هذه الدعوة سيكون بواسطة آبائهم لذلك عبّر القرآن عن ذلك بإضافة الباء في قوله: (بهذا)، للتنبيه إلى أن هناك ثمة واسطة لسماعهم بهذه الدعوة.**

لذلك فقد قال - تعالى- في قصة يوسف عن امرأة العزيز: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾(٤)**؛ لأن سماع امرأة العزيز لم يكن مباشراً من النسوة، بل ربما نُقل لها ذلك، أو لأن المكر بطبيعة الحال لا يسمع فكان الكلام واسطة لسماعها ما كتمن من مكر(٥).**

والفرق فيها واضح مع قول الله –عز وجل-: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ** الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٦)، **فإن الله -تعالى- لم يقل: قد سمع الله بقول التي...، ذلك أن الله سمع التحاور دون واسطة تنقل الكلام وتخبره به، وهو مقتضى كونه سميعاً لكل شيء، وناسب الآية أن تختم بصفة السمع تقوية لهذا المعنى.**

---

(١) سورة المؤمنون: ٢٤.
(٢) سورة القصص: ٣٦.
(٣) سورة ص: ٧.
(٤) سورة يوسف: ٣١.
(٥) أفادها الدكتور فضل عباس في محاضراته.
(٦) سورة المجادلة: ١.



كما إن الباء تفيد معنى التبعيض كذلك، وما سبق من الآيات يوضح هذا المعنى، فأهل الكتاب يحذرون من الحديث بما فتح الله في التوراة من أدلة نبوة محمد - ﷺ-، ولو كان هذا المذكور جزءاً مما ذكره الله، وفي الآيات التي تليها فإن الكفار يعترضون على أنبيائهم بأنهم لم يسمعوا بما يدّعيه أنبياؤهم من توحيد الله وعبادته، وينفون سماع أي شيء منه ولو كان قليلاً، وفي آية امرأة العزيز فإن فيها إشارة إلى أنها لم تسمع كامل قولهن بل سمعت جزءاً منه.

وهذا الذي نفاه الله في آية المجادلة فترك حرف الباء ليُعلِم السامعين بأنه لم يفُتْه حرف من حديث المرأة فكان سماعه مباشراً وتاماً.

وفي سورة الزلزلة فإن الله قال: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، ولو قال: "تحدّث بأخبارها"، لكان فيه مدخلاً لأن يفهم السامع من سياقه أن الأرض ستحدث في ذلك الحدث بعض أخبارها التي جمعت، فتُركت الباء فيها ليبيّن الله – تعالى- تمام الإخبار دون ترك شاردة أو واردة، وهذا فيه زيادة تهويل وتخويف، والله أعلم.

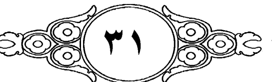
ثم قيل: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: من قول الله - تعالى-، وقيل: من قول الإنسان؛ أي: يقول الإنسان: ما لها تحدث أخبارها؟، متعجباً، فيكون على ذلك متعلقاً بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾[1].

قلت: ويمكن الاعتراض على ذلك من وجهين: الأول: استخدام (يومئذٍ) يجعل الجملة التي تليها بمعنى الخبر، وجملة: (ما لها؟) إنشائية، فيصعب أن تلحق هذه بتلك، والثاني: أن في هذه الجملة بيان سبب تعجب الإنسان من حالتها، فلم يسأل متعجباً وهو يعرف سبب تلك الزلزلة وما يتبعها!.

وتحديث الأرض فيه أقوال:

فيمكن أن يكون تحديث الأرض والإيحاء لها: هو مجاز عن إحداث الله –

(١) تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠، فتح القدير ٤٧٨/٥.



تعالى- فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها، فيعلم لم زلزلت ولِمَ لَفظت الأموات، وأن هذا ما كان الأنبياء ينذرونه ويحذرون منه، وهو قول من رأى أن هذه الزلزلة من أشراط الساعة[1]، كقولنا: هذه الدار تحدثنا بأنها مسكونة[2]، فيكون مجازاً مرسلاً مطلق الدلالة، أو استعارة مكنية[3].

قال يحيى بن سلام: تحدث أخبارها: بما أخرجت من أثقالها، وقيل: تحدث بقيام الساعة وأنها قد أتت وأن الدنيا قد انقضت[4].

قال الإمام الطبري: كان سعيد بن جبير يقرأ في المغرب مرة: (يومئذ تُنْبئ أخبارها) - بالتخفيف-، ومرة: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، فكأن معنى (تحدث) كان عند سعيد (تنبئ).

قال الزمخشري: وقرأ ابن مسعود (تُنَبِّئ) - بالتشديد-.

وتنبيئها أخبارها: إخراجها أثقالها من بطنها إلى ظهرها، وتأويل الكلام على هذا المعنى: يومئذ تنبئ الأرض أخبارها بالزلزلة والرجة وإخراج الموتى من بطونها إلى ظهورها بوحي الله إليها، وإذنه لها بذلك، وذلك معنى قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ... وذلك لما روي عن مجاهد في قول الله: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾، قال: أمرها فألقت ما فيها وتخلت[5].

أو يمكن أن يكون ذلك التحديث بلسان المقال بأن ينطقها الله على

---

(١) تفسير الكشاف ٢٧٧/٤، تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠، تفسير أبي السعود ١٨٨/٩-١٨٩.
(٢) التفسير الكبير ٢٥٥/٢١.
(٣) تفسير القاسمي (محاسن التأويل) ٦٢٣٣/١٧.
(٤) فتح القدير ٤٧٨/٥، تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠-١٤٩، تفسير أبي السعود ١٨٨/٩-١٨٩، الكشاف ٢٢٧/٢.
(٥) تفسير الطبري ٢٦٦/٣٠-٢٦٧، تفسير أبي السعود ١٨٨/٩-١٨٩.

الحقيقة، فيجعلها حيواناً ناطقاً، فتخبر بما عمل عليها من خير وشر، بأن الله قال لها: قولي؛ فقالت. وروي عن رسول الله - ﷺ-: "تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها"[1]؛ ففي الترمذي – وغيره- عن أبي هريرة قال: "قرأ رسول الله - ﷺ- هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قال: أتدرون ما أخبارها؟، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها؛ تقول: عمل يوم كذا، كذا وكذا قال: فهذه أخبارها[2].

وهو قول من رأى أن هذه الزلزلة في زلزلة القيامة[3].

وفي هذا المعنى ثبت عن النبي - ﷺ- أنه قال: "إذا كان أجل العبد بأرض أوثبته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله فتقول الأرض يوم القيامة: رب هذا ما استودعتني"[4].

ويؤيد هذا التأويل[5] قوله - ﷺ-: "... فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن إنس ولا جن ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة"[6].

ووجه الدلالة: قوله: (ولا شيء)، فإن الأشياء التي كانت غير ناطقة في الدنيا فإنها تنطق يوم القيامة بما رأت وسمعت.

قلت: ولا مانع من وجود المعنيين على حد سواء فإنها ستحدث أخبارها حالاً ومقالاً، وفي هذا التأويل عمل بكل النصوص، كما فيه تقوية لمعنى هول

---

(١) تفسير الكشاف ٢٧٧/٤، تفسير البيضاوي ٥١٨/٥، تفسير ابن كثير ٥٤٠/٤، تفسير الطبري ٢٦٦/٣٠، الدر المنثور ٥٩٢/٨، روح المعاني ٢٠٩/٣٠-٢١٠، التفسير الكبير ٢٥٥/٢١.

(٢) سنن الترمذي ٦٤١/١، ٦١٩/٤، وقال: حديث حسن صحيح، وحسّنه المنذري في الترغيب والترهيب ٤/ ٣١٠، والبغوي في شرح السنة ٤٧٨/٧، وضعّفه الألباني.

(٣) تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠-١٤٩، تفسير الثعالبي ٤٣٤/٤، تفسير البغوي ٥١٥/٤، زاد المسير ٢٠٣/٩، روح المعاني ٢٠٩/٣٠-٢١٠.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه ١٤٢٤/٢، وإسناده صحيح.

(٥) تفسير الثعالبي ٤٣٤/٤.

(٦) رواه البخاري ٢٢١/١، و١٢٠٠/٣، و٢٧٤١/٦.

الزلزلة، وما أراده الله من ترهيب العباد منها، والله أعلم.

ولقائل أن يقول: كيف تتحدث الأرض وتتكلم وهي جماد من حجارة وتراب، ولا يمكن للحجر أن يتكلم؟!.

وجوابه: أن الله الذي أنطق الإنسان من لسانه، وهي قطعة لحم جامدة، قادر على أن ينطق الأرض وهي جماد، ثم إذا كانت جوارح الإنسان يوم القيامة ستنطق وتشهد عليه، اليد والعين والجلد والقدم، كما قال – سبحانه-: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1]**، وقال – جل وعلا-:** ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[2]**.**

وهذا تأويل غير محال ولا مستبعد حدوثه في الدنيا لا عقلاً ولا نقلاً، وهو كقول الله –تعالى-: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ﴾[3]**، فالظاهر أن التحديث حقيقي والنطق الصوت مسموعان[4].**

وكيف لا يكون ذلك؟، ونحن نرى في عصرنا من المخترعات، ما يثبت تكلم الجماد؛ نسمع شريطاً مسجلاً من القرآن، لمقرئ مات منذ عشرات السنين أو خطاباً لرئيس بليت عظامه تحت الأرض، وكأنه الآن يتكلم، بنبراته وصوته الجهْوَريّ، وكذلك الاسطوانات، وأشرطة التسجيل المرئية "الفيديو" بكل الأصوات – بل والأشكال والصور- تبقى محفوظة، نسمعها متى شئنا، - ونراها متى رغبنا مراراً وتكراراً-، وهذا من اختراع إنسان من البشر، فكيف بالخالق العظيم؟، أليس على كل شيء قدير؟[5]، فإمكانية وقوع هذا الأمر

---

(١) سورة فصلت:٢١.
(٢) قبس من نور القرآن الكريم ١٦/٣٢٠، والآية من سورة يس:٦٥.
(٣) سورة الإسراء:٤٤.
(٤) تفسير من وحي القرآن ٢٤/٣٧٠.
(٥) قبس من نور القرآن الكريم ١٦/٣٢٠.

للأرض غير مستبعد عقلاً ولا يصعب تخيله، لا في عصرنا الحديث ولا استبعده السلف – رضوان الله عليهم أجمعين-.

ويستأنس لذلك بما رُوي عن سعيد أنه قال: زلزلت الأرض على عهد عبد الله، فقال لها عبد الله: ما لك؟، أما إنها لو تكلمت قامت الساعة[1]، وإسناده ضعيف.

وبما في "المعجم الكبير" أن ربيعة الجرشي سمع رسول الله - ﷺ- قال: "تحفَظوا من الأرض؛ فإنها أمكم وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة"[2]. وإسناده ضعيف أيضاً.

قلت: وجاء الفعل (تحدث) بالمضارع خلافاً لما سبقه من أفعال (زلزلت، أخرجت)؛ لمجيئه بعد (يومئذٍ)؛ ولأن الآيات الكريمة قد وصلت إلى الحدث المطلوب والذي يدور عليه موضوع السورة، وهو يوم القيامة، والذي لأجله زلزلت الأرض وأخرجت أثقالها، فناسب ذكر الفعل بالمضارع؛ ليعيش السامع الحدث كأنه في الحاضر، ويروي ما يقع من أحداث يشاهدها من بعث ونشور، على خلاف ما كان من (زلزلت) و(أخرجت) التي وقعت بالنسبة إلى الحدث في الماضي.

و(إذ): إذا جاءت بعد ظرف زمان أفادت غاية المفاجأة.

والتنوين في (يومئذٍ): عوض عن جملة مقدرة حذفت لاختصار الكلام وقُرب ذكره، وحفاظاً على ذهن السامع، حتى لا تفتر الفكرة عنده، ولأهمية ما سيُذكر بعده من كلام، وتقديرها: يوم إذ زلزلت الأرض ...، فإنها تحدث.

وقال: (يوم)، ولم يقل: عند، أو حين؛ لأن هذا اليوم كله هو المقصود في الكلام ولأجله جاءت السورة تحدث بما فيه من أحداث، وهو يوم القيامة والزلزلة، ولم تأت الآية لتحصر ذهن السامع في ذلك الوقت أو الحين. وفيه إشارة إلى أن هذا اليوم هو يوم مشهود وذو أهمية، وما فيه من أحداث فاصلة بين الدنيا بأعمالها والآخرة بحسابها، ويؤيد ذلك قوله –تعالى- بعد ذلك: (فمن يعمل ... يره).

---

(١) تفسير الطبري ٢٦٦/٣٠، والحديث ضعيف. فيه ابن يمان ضعفه الأئمة.
(٢) ضعيف، انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته ح(٢٤٠٧).

واستخدام كلمة (أخبارها)، والتي أصلها مادة: (خبر)، أولى من استخدام مادة أخرى مثل الإنباء أو التبليغ أو غيرهما؛ وذلك أن الإخبار يكون مع فهم ووعي؛ فالخابر والمخبر يكون عالماً ومجرباً للخبر؛ لذلك قيل عما في نفس الإنسان: مَخْبَره، كما أنه لا يعرف إلا بالتجربة والدراسة والمتابعة، والشيء إذا أردت أن تعرفه اختبرته وجربته[1]، ولم يقل: منبؤه، أو مبلغه، ومنها وصف الله – تعالى- لنفسه حين قال: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[2]، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[3].

والخبر فيه زيادة معنى عن "العلم"، فالإخبار نقل المعلومات مع المعرفة بكنهها على حقائقها[4]، مما لا مجال فيه للخطأ أو الخلط أو غيره من آفات تؤثر على المخبر، لتصل المعلومة دقيقة سليمة بعيدة عن أي لبس يشوبها شيء من السرية، وفيه يظهر الفرق بين تخابر الشخصين وتحادثهما، بعكس التبليغ والإنباء والإعلام؛ فالإنباء إنما يكون لشيء ظاهر وواضح؛ لأن أصل كلمة "نبأ": من النبوّة والنَّباوة: وهي ما ارتفع من الشيء وظهر ونشز، وهو محتمل الشك عند بعض السامعين، ومنه النبأة: وهو الصوت الذي يُشك فيه ولا يتيقن، وهذا المعنى غير وارد في الخبر[5].

والنبأ لا يكون إلا للإخبار بما لا يعلمه المخبَر، بعكس الخبر الذي يجوز أن يكون معلوماً أو متوقعاً عند السامع وربما يكون غير معلوم؛ لذلك قال – تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ

(١) لسان العرب ٢٢٧/٤، مادة: (خ ب ر).
(٢) سورة الإسراء:١٧.
(٣) سورة الفرقان:٥٩.
(٤) الفروق في اللغة ص١٣٩.
(٥) لسان الميزان ١٦٢/١، مادة (ن ب أ)، العين ٣٨٢/٨، مادة (ن ب أ).

أَقْلَمَهُمْ ...﴾[1]، وقال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[2]، فالنبي – ﷺ - لا يعلم أنباء السابقين، والكفار إنما استهزؤوا لأنهم لم يعلموا حقيقة العذاب ولو علموه لتوقّوه[3].

فالمتأمل في سياق الآيات يلحظ أن هذه الأخبار لا تتسم بالتذكّر والاستحضار لأصحابها، بل هي خفية عنهم آنذاك على الرغم من عجزهم عن إنكارها وتكذيب مخبرها.

ثم إن الإخبار لا يكون إلا لنقل الخبر، بعكس الإنباء والتبليغ والإعلام فإنه قد يصحبها أمر ونهي مع الخبر[4]، وسياق الآية هنا يحدد أن الأرض تروي ما جرى عليها فقط دون إضافة أوامر أو نواهٍ تصدرها.

وأعرض عن كلمة "حديثها" في قوله: (تحدث أخبارها) مع كونها من جنس الفعل؛ ذلك لأن الخبر هو الذي يصح أن يكون عن نفسك وعن غيرك، والأصل أن يكون عن الغير، فعند التحديث عن الغير يكون (الإخبار) أولى، أما "الحديث" فإنه ما يخبِّر به الشخص عن نفسه من غير أن يسنده إلى غيره، ويدل على صحة هذا أنه يقال: "فلان يحدّث عن نفسه بكذا"، ويقال: "حديث النفس"، ولا يقال: "مخبر عن نفسه"، و"خبر النفس". والإخبار يكون بعد طلب أو سؤال، أما الحديث فلا يشترط أن يسبقه ذلك[5].

ولم يستخدم لفظ "الأمر"؛ لأن الأمر لا يتناول المتكلم؛ لبطلان أن يأمر الإنسان نفسه[6]، فلم يقل: "تحدث الأرض أمورها"، وقال: (أخبارها)؛ فلأجل هذا كله كان اختيار كلمة (أخبارها) أنسب في السياق، والله أعلم.

وجاءت كلمة (أخبارها) بصيغة الجمع للمبالغة[7]، أي: إنها لا تترك

---

(١) سورة آل عمران: ٤٤.
(٢) سورة الأنعام: ٥.
(٣) الفروق في اللغة ص٤٦.
(٤) الفروق في اللغة ص٣٨.
(٥) الفروق في اللغة ص٤٧.
(٦) الفروق في اللغة ص٤٨.
(٧) تفسير ابن كثير ٤/٥٤٠.

شيئاً من أخبارهم إلا وتفصح عنه، وأيّد ذلك ترك الباء فيها كما أسلفنا.

قلت: ولأنها جمعت أخباراً كثيرة في الكم، مفصلة ودقيقة، ومتعاكسة في الكيف، عن الكفار والمؤمنين على حد سواء، فحسُن أن تكون على صيغة الجمع.

وقال ابن عطية: وإضافة (أخبارها) للأرض: لأنها جمعتها ووعتها وحصّلتها بكاملها ولم تترك شيئاً منها[1]، وفي إضافة (أخبار) إلى الأرض إشارة إلى أنها لم تجمع كل أخبارهم، بل جمعت ما يخصها ويهمها منها.

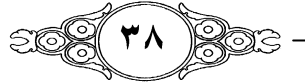
قال الإمام الآلوسي: بقي ههنا بحث؛ وهو أنهم اختلفوا في نحو (حدثت): هل هو متعد إلى مفعول واحد أو إلى أكثر؟، فذهب الزمخشري وغيره ونقل عن سيبويه إلى الثاني، وهو عندهم ملحق بأفعال القلوب، فينصب مفعولين، كـ: "حدثت زيداً الخبرَ"، أو ثلاثة كـ: "حدثته عمراً قائماً"، وعليه فإن (أخبارها) هو المفعول الثاني، والمفعول الأول محذوف كما أشرنا إليه، ولم يُذكر؛ لأنه لا يتعلق بذكره غرض، إذ الغرض تهويل اليوم مما ينطق فيه الجماد بغضّ النظر عن الحديث كائناً ما كان.

وقال ابن الحاجب: إنما هو متعدٍّ لواحد وما جاء بعده لتعيّن المفعول المطلق فـ"عمراً قائماً" في: "حدّثتُ زيداً عمراً قائماً" منصوب لوقوعه موقع المصدر [مقدر في قولنا: "حدثتُ زيداً حديثاً"]، لا لكونه مفعولاً ثانياً وثالثاً، ولا يقال: كيف يصح أن يقع ما ليس بفعل في المعنى -أعني: عمراً قائماً- مصدراً؟؛ لأنه لم يكن مصدراً باعتبار كونه قائماً ولكن باعتبار كونه حديثاً مخصوصاً، فالوجه الذي صحح الأخبار به عن الحديث إذا قلت: "حدثت زيداً عمرٌو قائمٌ" هو الذي صحح وقوعه مصدراً، فأخبارها عليه في موقع المفعول والمفعول به محذوف، لما تقدم. بل قال بعضهم: إنك إذا قلت: "حدثتُه حديثاً أو خبراً" فلا نزاع في أنه مفعول مطلق، والظاهر أن الأخبار في زعمه كذلك.

وتعقب ذلك في "الكشاف" بأن ما ذكره الشيخ غير مسلّم؛ فإنه لم يفرق بين التحديث والحديث، والأول هو المفعول المطلق، كيف وهو يجر بالباء، فتقول: "حدثته الخبرَ، وبالخبرِ"، ومعلوم أن ما دخل عليه الباء لا يجوز أن

---

(١) تفسير ابن عطية ٥٣٦/١٥.



يكون مفعولاً مطلقاً. وقد يقال: كون الشيخ لم يفرّق في حيز المنع -وكيف يخفى مثل ذلك على مثله- لكنه قائل بأن أثر المصدر ومتعلقه قد سد مسده فيما ذكر، كما سد مسده آلته في نحو: "ضربته سوطاً"، ولعل ما قرره في غير ما جاز أن تدخله الباء.

وقال الطيبي: يمكن أن يقال أن (حدث وأخواتها) متعديات إلى مفعول واحد حقيقة وجعلها متعديات إلى ثلاثة أو إلى اثنين تجوّز أو تضمين لمعنى الإعلام، واستأنس له بكلام نقله عن "المفصل" وكلام نقله عن صاحب "الإقليد"، فتأمل[1].

قال الإمام الرازي: لفظ التحديث يفيد الاستئناس، وهناك لا استئناس، فما وجه هذا اللفظ؟، الجواب: أن الأرض كأنها تبث شكواها إلى أولياء الله وملائكته[2].

وما جرى قبل هذه الآية من تطويل للكلام بعد حرف الشرط تشويق لجواب ذلك الشرط، وبيان لغاية أهميته وأثره[3].

قال الباقولي: تحدث: أي تحدث أنت، على أن التقدير: وقال الإنسان ما لها تحدث أخبارها، فقيل: بأن ربك أوحى لها[4].

وقُرأت (يحدث) – بالياء- في قراءة شاذة، وتعود بالمعنى على الإنسان، أي: يخبر الإنسان عن أخبار الأرض[5]. قلت: وهو بعيد لما جاء بعدها من قوله: (بأن ربك أوحى لها)، والباء سببية؛ فلا يستقيم أن يكون تحديث الإنسان عن أخبار الأرض بسبب إيحاء الله لها، والله أعلم.

---

(١) روح المعاني ٢١١/٣٠.
(٢) التفسير الكبير ٢٥٦/٢١.
(٣) التحرير والتنوير ٤٨٩/٣٠.
(٤) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات ٤٢٤/٢.
(٥) إعراب القراءات الشواذ ٧٣٤/٢.



المطلب الخامس

في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾

(الباء): حرف جر مبني على الكسرة، و(أن): حرف توكيد ونصب مشبّه بالفعل مبني على الفتح، و(ربك): اللفظ اسم "أن" منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وهو مضاف. و(الكاف): ضمير متصل مبني على الفتحة في محل جر مضاف إليه. والجملة الفعلية (أوحى لها): في محل رفع خبر "أن". وجملة (أن ربك أوحى لها): في محل جر بالباء. والجار والمجرور متعلق بـ(تحدث).

بأن ربك: بأن: أي: تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث، فتكون الباء سببية، أي: بسبب.

ويجوز أن يكون المعنى: يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها، على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها: تحديث بأخبارها؛ كما تقول: نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في الدين.

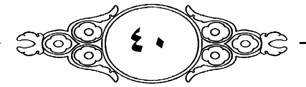
فتكون (بأن ربك) بدلاً من (أخبارها)، فصار كأنه قيل: يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها؛ لأنك تقول: حدثته كذا، وحدثته بكذا؛ فالتحديث يكون باستخدام الباء وبدونها، فتكون الباء هنا للصلة، أو تجريدية[1]، وجاز أن تكون للإلصاق[2]، أي أن حَدَث إخبارِها كان ملازماً بإيحاء الله إليها، فلزم الإتيان بالباء للتنبيه على ذلك.

وبالغ أبو حيان في الحط على من قال به، فقال: هو عَفش ينزه القرآن عنه، وأراد بالعفش - بعين مهملة وفاء وشين معجمة-: ما يدنس المنزل من

---

(١) الكشاف ٢٢٧/٢، تفسير البيضاوي ٥١٨/٥، تفسير أبي السعود ١٨٩/٩، التبيان في تفسير غريب القرآن ٤٧١/١، تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠، تفسير الطبري ٢٦٧/٣٠، تفسير ابن كثير ٥٤٠/٤، الدر المنثور ٥٩٢/٨، تفسير الثعالبي ٤٣٤/٤، تفسير مجاهد ٧٧٥/٢، تفسير الواحدي ١٢٢٣/٢، تفسير البغوي ٥١٥/٤، زاد المسير ٥٢٨/١ و٢٠٣/٩-٢٠٤، روح المعاني ٢١٠/٣٠، التبيان في إعراب القرآن ٢٩٢/٢.

(٢) معجم حروف المعاني ٨٨٦/٢.



الكناسة، وهي كلمة تستعملها في ذلك عوام أهل المغرب. وليس كما قال[١].

وأوحى لها: قرأها حمزة والكسائي وورش بالإمالة[٢].

قال ابن عباس - رضي الله عنه-: هي بمعنى أوحى إليها.

أي: ألهمها، أو: أوحى لها أمْرَها فأمَرَها به، وقال لها، فانشقت عما فيها وألقته، وتخلت منه. وقيل: سخّرها.

قال الزمخشري والبغوي والآلوسي: هو مجاز مرسل لإرادة لازمه، وهو إحداث ما تدل به على خرابها[٣]، أو استعارة؛ بأن يُحدِث الله - عز وجل- فيها من الأحوال ما يكون به دلالة تقوم مقام التحديث باللسان، حتى ينظر من يقول: ما لها؟، إلى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات، وإنَّ هذا ما كانت الأنبياء - عليهم السلام- ينذرونه ويحذرون منه، وما يُعلم هو أخبارها.

قال ابن كثير: هو متضمن لمعنى: أَذِن لها[٤].

وترجم البخاري في "صحيحه" قال: يقال: أوحى لها، أوحى إليها، ووَحَى لها، ووَحَى إليها، واحد[٥].

والعرب تضع لام الصفة موضع (إلى)، قال العجاج يصف الأرض:

وحّى لها القرار فاستقرتِ　　　وشدها بالراسيات الثُّبَّتِ[٦]

وعندها يكون الوحي: وحي إلهام[٧].

وهذا المعنى: هو أولى المعاني[٨]؛ لأنه أقوى عملاً في المعنى من كونه

---

(١) روح المعاني ٢١٠/٣٠.
(٢) معجم القراءات القرآنية ٤٥١/٥.
(٣) تفسير القاسمي (محاسن التأويل) ٦٢٣٣/١٧.
(٤) مراجع الباب السابقة.
(٥) صحيح البخاري ١٨٩٧/٤.
(٦) تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠، زاد المسير ٢٠٣/٩-٢٠٤، روح المعاني ٢١٠/٣٠.
(٧) روح المعاني ٢١٠/٣٠.
(٨) فتح القدير ٤٧٨/٥.

نعتاً، أو جاراً ومجروراً[١].

قلت: وذلك لأن التوابع أقوى عملاً من الجار والمجرور، والبدل تابع أقوى وألصق من الصفة من حيث المعنى.

ويجوز أن يبقى معنى اللام على أصلها –أي للمنفعة والملكية- لأن الأرض بتحديثها بعمل العصاة يحصل لها تشفٍّ منهم بفضحها إياهم بذكر قبائحهم[٢]، وإشارة إلى أنه أمر إلهي خاص بها[٣].

وقيل: إن اللام على بابها من كونها للعلة، والموحى إليه: محذوف، وهو الملائكة، والتقدير: أوحى إلى الملائكة لأجل الأرض، أي: لأجل ما يفعلون فيها[٤]. وعندها يكون الوحي: وحي إرسال[٥].

والمشهور: أن أوحى يتعدى بـ(إلى)، وتعْدِيته هنا باللام جاء مناسباً لمراعاة فواصل الآيات[٦]، وإيذاناً بالإسراع في الإيحاء[٧]؛ لأن "إلى" أطول لفظاً من "اللام".

قلت: مع كونه ليس الهدف الأسمى من الإتيان باللام بدل (إلى)، ولكنه تضمن معنى (إلى) - وهو انتهاء الغاية- مع معناه الأصلي: وهو الخصوصية فأشار إلى أن الوحي خاص للأرض، وفيه انتهاء لغايته أي: أقوى ما يكون، وفيه إشارة إلى نهاية أمر العالم، وزوال الأرض حيث تبدّل الأرض غير الأرض، مثل قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[٨]، والله أعلم.

---

(١) روح المعاني ٢١١/٣٠.
(٢) تفسير البيضاوي ٥١٨/٥، روح المعاني ٢١٠/٣٠، حاشية القونوي ٣٨٨/٢٠.
(٣) تفسير المراغي ٤٧٤/١٠.
(٤) التفسير الكبير ٢٥٦/٢١، فتح القدير ٤٧٨/٥، روح المعاني ٢١٠/٣٠، تفسير ابن عطية ٣٥٧/١٥.
(٥) روح المعاني ٢١٠/٣٠.
(٦) تفسير الثعالبي ٤٣٤/٤، فتح القدير ٤٧٨/٥، روح المعاني ٢١٠/٣٠.
(٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٠٦/٨.
(٨) سورة إبراهيم:٤٨.

وإنما اختار كلمة ﴿أَوۡحَىٰ﴾ دون "وحى"، أن ﴿أَوۡحَىٰ﴾ أي أرسل الله إليها الوحي وجعل هذه الصفة فيها؛ لأن "أفعل" أصله التعدية[1]؛ أما "وحى": فهو مجرد إرسال الوحي دون الإشارة إلى إخبار الأرض به، وهذا اللفظ لا يتناسب هنا؛ لأن الأرض بطبيعة الحال ستخبر ما جرى لها بما أوحى الله إليها من الأمر، فكان استخدام لفظ ﴿أَوۡحَىٰ﴾، هو الأنسب، والله أعلم.

وكل من: (زلزالها)، و(أثقالها)، و(ما لها)، و(أخبارها)، و﴿أَوۡحَىٰ لَهَا﴾: يسمى سجعاً مرصّعاً وهو من المحسنات البديعية[2].

---

(١) الفروق في اللغة ص٥٢٨.
(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٣٥٨/٢٩.

المطلب السادس

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾

يومئذ: أي: يوم إذ (ما ذُكر...)، وهو: إما ظرف لـ(يصدر)، أو: بدل من يومئذ الذي قبله، وإما: منصوب بمقدر هو: اذكر، وإما منصوب بما بعده؛ والمعنى: يوم إذ يقع ما ذُكر يصدر الناس من قبورهم إلى موقف الحساب[1].

وكرر لفظ (يومئذٍ) حتى لا يفقد السامع مجموع المعاني المذكورة آنفاً ويستحضر تلك الأحداث بذكر يومها مرة أخرى، وفيه زيادة في التهويل[2].

يصدر الناس: قرأها حمزة والكسائي وخلف ورويس بإشمام الصاد زاياً[3]، وهو فعل مضارع مرفوع بالضمة، والناس: فاعله مرفوع بالضمة[4].

ومعناها: أنهم يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف يوم النشور، من ههنا وههنا.

والصادر: المنصرف، تقول العرب: صدرت الإبل عن الماء، إذا شربت وانصرفت، وعكسها: وردت، إذا جاءت للشرب.

فكأن الناس انصرفوا من قبورهم إلى موقف الحساب، فعندها يخرجون من أقطار الأرض؛ بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين، راكبين وماشين، ومقيدين بالسلاسل وغير مقيدين، وعن بعض السلف: متفرقين إلى سعيد وأسعد، وشقي وأشقى، وقيل: إلى مؤمن وكافر، وذلك كقوله - تعالى-[5]: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[6].

---

(١) فتح القدير ٤٧٨/٥، التبيان في إعراب القرآن ٢٩٢/٢، روح المعاني ٢١٠/٣٠.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٠٦/٨.
(٣) معجم القراءات القرآنية ٤٥٢/٥.
(٤) بلاغة القرآن الكريم ٦٨٠/١٠.
(٥) سورة النبأ:١٨.
(٦) الكشاف ٢٧٨/٤، تفسير البيضاوي ٥١٩/٥، تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠، تفسير ابن

وجاز أن يكون المراد: كل واحد وحده؛ لا ناصر له ولا عاضد، كقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾(١). وقيل: متفرقين بحسب الأقطار(٢).

وعلى هذا القول فإنهم يرون خير أعمالهم وشرها في يوم العرض عند الحساب(٣).

ويمكن أن يكون هذا ورودهم، وصدورهم: فهو خروجهم عن موقف الحساب، أي: يصدرون عن الموقف أشتاتاً يتفرّق بهم طريقا الجنة والنار، حسب مراتبهم جزاء ما عملوا؛ فيرى المحسن في الدنيا، المطيع لله عمله، وما أعد الله له يومئذ من الكرامة على طاعته إياه، ويرى المسيء العاصي لله عمله وجزاء عمله وما أعد الله له من الهوان والخزي في جهنم على معصيته إياه، وكفره به في الدنيا؛ وذلك كقوله -تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾(٤)، وقوله -تعالى-: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾(٥)، أي: مفرقين لا يجتمعون بعدها أبداً.

كثير ٥٤٠/٤، تفسير الطبري ٢٦٦/٣٠، الدر المنثور ٥٩٢/٨، تفسير أبي السعود ١٨٩/٩، فتح القدير ٤٧٨/٥، زاد المسير ٢٠٤/٩، تفسير النسفي ٣٥٢/٤، روح المعاني ٢١٠/٣٠، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص١٥٠.

(١) سورة الأنعام: ٩٤.

(٢) روح المعاني ٢١٠/٣٠.

(٣) زاد المسير ٢٠٤/٩.

(٤) سورة الروم: ١٤.

(٥) تفسير القرطبي ١٥٠/٢٠، تفسير الطبري ٢٦٦/٣٠، تفسير الثعالبي ٤٣٤/٤، تفسير أبي السعود ١٨٩/٩، تفسير الواحدي ١٢٢٤/٢، تفسير البغوي ٥١٥/٤، زاد المسير ٢٠٤/٩. والآية من سورة الروم: ٤٣.

وقيل: إن فيه تقديم وتأخير مجازه: تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً[1].

قلت: وعلى هذا القول تكون جملة ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ متعلقة بـ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾.

واعتُرض عليه[2].

وقال ابن عطية، قوله: يصدر الناس أشتاتاً: معترضة[3].

قلت: واستخدام (يصدر): يشير إلى أن هناك ورود قبله، وهذا الصدور إنما هو مرحلة تلي الورود كقول الله – تعالى-: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾[4]، فصدور الرعاء كان بعد ورودهم الماء، وانتفاعهم منه ثم الصدور عنه، ولا يستقيم استخدام كلمة (يخرج) لأن الخروج لا تدل على الدخول لغاية مؤقتة ومحددة يتأتّى بانتهائها الخروج مرة أخرى؛ أما يصدر: فإنها تحوي هذا المعنى وهو دخول الأرض لغاية محددة ثم الخروج إلى موقف الحساب، أو الدخول إلى موقف الحساب لغاية محددة ويكون بعدها الخروج إلى الجنة أو النار، فناسب استخدام الفعل (يصدر) أكثر من غيره.

كما أن الصدور يكون أسرع من الخروج، ويوصف به من يكون عارفاً لموضع خروجه وعامداً إليه[5]، وربما يكون الخروج لهدف الخروج فقط بخلاف الصدور، فهو للهدف المعروف عند صاحبه قبل الخروج، فكل إنسان يصدر سواء كان من الموت، أو من الحساب يعرف مكان خروجه ووجهته، والله أعلم.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٥٤٠/٤، الدر المنثور ٥٩٣/٨، إعراب القرآن ص٧٥٢.
(٢) تفسير القرطبي ١٥٠/٢٠، تفسير الطبري ٢٦٦/٣٠.
(٣) تفسير ابن عطية ٥٣٨/١٥.
(٤) سورة القصص:٢٣.
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٥٠٦/٨.

إلا أن الفعل في قصة موسى جاء متعدياً لزيادة الهمزة في أوله، وتقديره: حتى يُصدر الرعاء إبلَهم، بينما جاء هنا لازماً[1].

وذِكْر (الناس)؛ لأن لفظ "الناس" تطلق على الأحياء والأموات، ولم يقل: "الورى" لأنها تطلق على الأحياء، وأعرض عن لفظ "العالم"، لأنها تطلق على أبناء الزمن الواحد، وترك كلمة "الإنسان" لأن الناس كلهم عرفوا حقيقة هذا الأمر، وارتفعت عنهم صفة النسيان والجهل[2]، فكان أنسب ما يكون في هذا السياق أن يصفهم بـ (الناس).

وأشتاتاً: أي: فرقاً فرقاً، أو: متفرقين[3]، وهي حال من الناس، ومفردها: شَتٌّ[4].

قال عدي بن زيد:

قد هَراق الماء في أجوافها وتطايرن بأشتاتٍ شِقَقْ[5]

ومعنى كونه حالاً، أي: يخرجون بحالة تشتت وتفرق كل حسب عمله.

قلت: واختار كلمة (أشتاتاً) دون غيرها؛ لأن هذه الكلمة تشير إلى الاختلاف المادي والمعنوي، والتفرق حالاً ومآلاً؛ لأنه وفي حال القيامة، يكون التفرق بين أهل الحق وأهل الباطل فُرقة مكانية مصيرية؛ إلى جنة أو نار، وفرقة حالية؛ إلى مؤمن أو كافر، بينما كلمة "متفرقين" أو غيرها لا تعمل هذا العمل، كما أن في هذه الكلمة ملمح إلى زيادة البعد والفرقة، نقول: شتان بين فلان وفلان، لبيان مدى الفرق بينهما وتعظيمه في ذهن السامع.

قال المراغي وغيره: هم متفرقون في النظام، متمايزون لا يسير محسنهم ومسيئهم في طريق واحدة[6].

---

(١) بلاغة القرآن الكريم ٦٨١/١٠.
(٢) الفروق في اللغة ص٤٩٤.
(٣) الكشاف ٢٧٨/٤، تفسير البيضاوي ٥١٩/٥، تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠، تفسير ابن كثير ٥٤٠/٤، تفسير الطبري ٢٦٦/٣٠، الدر المنثور ٥٩٣/٨.
(٤) مشكل إعراب القرآن ٨٣٥/٢، التبيان في إعراب القرآن ٢٩٢/٢.
(٥) إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص١٥٣.
(٦) تفسير المراغي ٤٧٤/١٠، تفسير روح البيان ٥٩٣/١٠.

لِيُروا أعمالهم: (اللام): حرف جر، وهي للتعليل، بمعنى: كي، و(يُروا): فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ"أن" مضمرة بعد اللام وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، و(الواو): ضمير متصل مبني في محل رفع نائب فاعل، و(الألف): فارقة، و(أعمال): مفعول به ثانٍ منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وهو مضاف، و(هم): ضمير متصل مبني فيً محل جر مضاف إليه، وجملة (ليروا أعمالهم): صلة حرف مصدري لا محل لها من الإعراب، و"أن" المضمرة وما بعدها بتأويل مصدر: في محل جر بلام التعليل[1]، والجار والمجرور متعلق بـ(يصدر)، وقيل: متعلق بـ(أوحى لها)، وليس بينهما تعارض.

وقرأها الجمهور: (لِيُروا): بضم الياء، مبنياً للمفعول، وهو من رؤية البصر؛ أي: ليريهم الله أعمالهم.

وقرأ الحسن والزهري وقتادة والأعرج ونصر بن عاصم وطلحة بفتحها، وروي ذلك عن النبي – ﷺ-[2]، وعن أبي بكر الصديق وعائشة[3]، وعن حماد بن سلمة وأبي حيوة وعيسى، ونافع في رواية[4]، وعن الأعرج وطلحة أيضاً[5].

ومعناه: ليُروا جزاء أعمالهم[6]، خيراً أو شراً، والكلام: على حذف المضاف، أو: على أنه تجوّز بالأعمال عما يتسبب عنها من الجزاء، وقدّر بعضهم (كتب) أو (صحائف)، وقال آخر: لا حاجة إلى التأويل فالأعمال تُجَسَّم: نورانية، وظلمانية؛ بل يجوز رؤيتها مع عرضيتها، وهو كما ترى.

وقيل: المراد: ليعرفوا أعمالهم ويوقفوا عليها تفصيلاً عند الحساب، فلا يحتاج إلى ما ذكر أيضاً[7].

---

(١) بلاغة القرآن الكريم ٦٨٠/١٠-٦٨١.

(٢) الكشاف ٢٧٨/٤، تفسير القرطبي ١٥٠/٢٠، تفسير أبي السعود ١٨٩/٩، فتح القدير ٤٧٨/٥، تفسير النسفي ٣٥٢/٤، روح المعاني ٢١٠/٣٠.

(٣) زاد المسير ٢٠٤/٩.

(٤) روح المعاني ٢١٠/٣٠.

(٥) معجم القراءات القرآنية ٤٥١/٥.

(٦) تفسير النسفي ٣٥٢/٤، التبيان في إعراب القرآن ٢٩٢/٢، روح المعاني ٢١٠/٣٠.

(٧) روح المعاني ٢١٠/٣٠.

قلت: ويمكن أن تتضمن اللام معنى العاقبة، أي: عاقبة الصدور وما يترتب عليه: رؤية الأعمال، مع كونه سبباً له.

وفي الكلام تضمين؛ لأن الهدف ليس الرؤية فحسب، بل سيرون أعمالهم ويجازون عليها؛ إما إلى النعيم أو إلى الجحيم، ومثله قوله -تعالى-: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]، ومعناه: أنه سمع واستجاب.

---

(١) سورة المجادلة:١.

المطلب السابع

في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

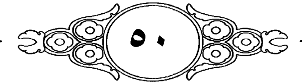
هاتان الآيتان: تفصيل لقوله تعالى: (ليروا)[1]، وبينهما مقابلة[2].

و(الفاء): استئنافية – لتفصيل الكلام-، و(الواو): عطفت جملة على جملة، و(مَن): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملتا فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر (من)، و(يعمل): فعل مضارع، فعل الشرط مجزوم بـ(من) وعلامة جزمه سكون آخره، والفاعل: ضمير مستتر جوازاً تقديره: هو، وجملة (يعمل) ومتعلقاتها: صلة الموصول (من) لا محل لها من الإعراب؛ لأن (من) اسم شرط أصله اسم موصول[3].

- سبب نزولهما: قال مقاتل: نزلتا في رجلين؛ وذلك أنه لما نزل ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾[4]، كان أحدهم يأتيه السائل فيستقِلَّ أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول: إنما أوعد الله النار على الكبائر، فنزلت ترغبهم في القليل من الخير أن يعطوه فإنه يوشك أن يكثر، ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر، وقاله سعيد بن جبير. والإثم الصغير في عين صاحبه يوم القيامة أعظم من الجبال، وجميع محاسنه أقل في عينه من كل شيء[5].

---

(١) روح المعاني ٢١١/٣٠.
(٢) التفسير المنير في العقيدة الشريعة والمنهج ٣٥٨/٢٩.
(٣) مشكل إعراب القرآن ٨٣٥/٢، بلاغة القرآن الكريم ٦٨١/١٠-٦٨٢.
(٤) سورة الإنسان:٨.
(٥) تفسير القرطبي ١٥١/٢٠، الدر المنثور ٥٩٤/٨، تفسير البغوي ٥١٦/٤، فتح



<u>فمن يعمل</u>: قوله: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ﴾ (من): كونه شرطاً، وهو اسم تام، أفاد شمول الجزاء لكل عامل خير أو شر[1]، مسلم أو كافر.

قوله: ﴿يَرَهُۥ﴾: أعادته مرة أخرى، ليس بتكرار؛ لأن الأول متصل بقوله: ﴿خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾، والثاني: متصل بقوله: ﴿شَرّٗا يَرَهُۥ﴾. فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير يرى ثوابه هنالك –أي: في الآخرة- ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يرى جزاءه هنالك – أي: في الآخرة-.

وقيل: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ ﴾والخبر عنها في الآخرة: لفهم السامع معنى ذلك لما قد تقدم من الدليل قبل؛ على أن معناه: فمن عمل ذلك، دلالة قوله: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾على ذلك، ولكن لما كان مفهوماً معنى الكلام عند السامعين[2].

وكأن في قوله: (يعمل) حث لأهل الدنيا على العمل بطاعة الله، والزجر عن معاصيه، مع الذي ذكرتُ من دلالة الكلام قبل ذلك، على أن ذلك مراد به الخبر عن ماضي فعله، وما لهم على ذلك، فأخرج الخبر على وجه الخبر عن مستقبل الفعل[3]. قلت: ويعضد ذلك أنها جاءت على صيغة المضارع وليس الماضي إشارة إلى أن العمل لا زال ممكناً في حق سامعه، وإلا فالأصل أن يقول: "فمن عمل..." عند الحساب والجزاء.

وقد خرج –بعد ذلك الترهيب وأهوال القيامة- بقاعدة عامة تميّز للإنسان مآل كل عمل، ليعتبر ويتعظ، ويتخذ من ذلك منهجاً وطريقاً؛ فقد قال – ﷺ -: "يتبع الميت ثلاثة: أهله وعمله وماله، فيرجع اثنان و يبقى واحد: يرجع أهله وماله، ويبقى عمله"[4]، فالباقي هنا: هو المنجّي له، وكل إنسان معلّق

القدير ٤٨٠/٥، لباب النقول ٢٣٣/١.

(١) مشكل إعراب القرآن ٨٣٥/٢.

(٢) تفسير الطبري ٢٦٦/٣٠، أسرار التكرار في القرآن ٢٢٣/١.

(٣) تفسير الطبري ٢٦٨/٣٠.

(٤) رواه أحمد البيهقي والترمدي والنسائي عن أنس، وصححه الألباني في صحيح

بعمله، وعليه يكون الحكم والمصير، وذلك كقوله – تعالى-: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[1]، وكقوله – تعالى-: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، وكقوله – جل وعلا-: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[3]، وكقوله – تعالى-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[4]، ومثل ذلك كثير.

والـ(مثقال): ميزان الشيء من مثله[5]، أو: هو شيء معلوم وزنه[6]، حدد قدره ما أضيف إليه، وهو مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة متعلق بـ(يعمل)، وهو مضاف[7].

وذرة: مضاف إليه مجرور وعلامة جره تنوين الكسر[8].

والذرة: هي النملة الصغيرة، أو: أصغر النمل، أو: ما يرى في شعاع الشمس من الهباء[9]. قال ابن سنان: دودة حمراء ليس لها وزن[10]. وقيل:

الجامع ح(٨٠ ١٧).

(١) سورة الروم:٤٤.

(٢) سورة غافر:٤٠.

(٣) سورة فصلت:٤٦.

(٤) سورة الجاثية:١٥.

(٥) مختار الصحاح ٣٦/١، مادة (ث ق ل).

(٦) لسان الميزان ٨٦/١١.

(٧) بلاغة القرآن الكريم ٦٨١/١٠.

(٨) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٩) تفسير البيضاوي ٥١٩/٥، الكشاف ٢٧٨/٤. الدر المنثور ٥٩٥/٨، تفسير أبي السعود ١٨٩/٩، فتح القدير ٤٧٨/٥.

(١٠) تفسير الطبري ٢٧٠/٣٠.

نملة حمراء رقيقة، ويقال: إنها تجري إذا مضى لها حول، وهي عَلَم في القلة[١].

قال البغوي: هي نملة صغيرة أصغر ما يكون من النمل[٢]، وقال ثعلب: إن مائة منها وزن حبة من شعير فكأنها جزء من مائة[٣].

وأقربها قول من قال: هو ما لا زنة له، أو أصغر شيء في الوجود، وهذا مَثَل ضربه الله - تعالى- أنه لا يغفل من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة، وهو مِثْل قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾[٤].

وذكر بعض أهل اللغة أن الذر: أن يضرب الرجل بيده على الأرض فما علق بها من التراب فهو الذر.

وكذا قال ابن عباس: إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب ذرة[٥].

ومنها قول امرئ القيس:

من القاصرات الطرف لو دب محول   من الذر فوق الأتب منها لأثرا[٦]

قلت: وعلى أي معنى؛ فالمقصود أن الإنسان محاسب على أي عمل سواء كان أصغر من الذرة أو أكبر منها؛ قال ابن عطية: وأشار في قوله:

(١) تفسير الطبري ٢٧١/٣٠، روح المعاني ٢١١/٣٠

(٢) تفسير البغوي ٥١٦/٤، فتح القدير ٤٧٨/٥.

(٣) لسان العرب ٣٠٣/٤، مادة (ذرر).

(٤) تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠-١٥١، والآية من سورة النساء: ٤٠.

(٥) تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠-١٥١، الدر المنثور ٥٩٨/٨.

(٦) فتح القدير ٤٨٠/٥، روح المعاني ٢١٢/٣٠، [والبيت من قصيدة امرئ القيس التي نظمها وهو في طريقه إلى بلاد الروم، و"القاصرات الطرف": اللواتي يقصرن طرفهن على أزواجهن ولا ينظرن إلى غيرهم، ويريد حبيبته التي ذكرها في البيت الذي قبله حين قال: إن كل ما يراه من برق ومطر لا ينسيه هذه الحبيبة، وهو يتمنى أن يسقط المطر إلى ديارها دون سواها:

نشيم بروق المزن، أين مصابه   ولا شيء يشفي منك يابنة عفزرا

و"المُحول": الذي مضى عليه الحول، أي: السنة، و"الذر": النمل الصغير، و"الأتب": الثوب غير المخيط على الجانبين]. – من حاشية تفسير ابن عطية ٥٤٢/١٥.

(مثقال ذرة)، للقليل الذي يتضمن معنى الكثير، ويسمى: مفهوم الخطاب عند أهل الكلام[1].

خيراً وشراً: بينهما طباق، وهما منصوبتان على التمييز؛ لأن (مثقال ذرة) مقدر، والتقدير: مثقال ذرة من خير. وقيل: على البدلية من مثقال، أو عطف بيان[2]، أي: ومن يفعل خيراً يره وإن كان مثقال ذرة.

وقرأ ورش (خيراً) بترقيق الراء.

يره: مجزوم لأنه جواب الشرط، وعلامة الجزم سقوط الألف[3]، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره: هو، و(الهاء): ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به، والجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب شرط جازم غير مقترن بفاء[4].

وهو تفصيل (ليروا)؛ ولذلك قرأ ابن عباس وزيد بن علي والجمهور (يرهُ): بالضمة المشبعة، وقرأ هشام وكذلك رواه الكسائي عن أبي بكر وأبي حيوة والمغيرة بإسكان الهاء في الموضعين[5] على هاء السكت، والمفعول به مقدر على قولنا: يرَ خيراً، أو يرَ جزاء عمله، أو نحو ذلك.

واختلس ضمّ الهاء يعقوب والزهري والجحدري وشيبة[6]، وابن وردان وأبو جعفر وروح والحلواني ورويس[7].

وقرأ نافع وابن كثير وحمزة والكسائي بإشباع الأولى وسكون الثانية[8].

أما (يَره) فقرأها الجمهور بفتح الياء فيهما.

---

(١) تفسير ابن عطية ٥٣٧/١٥.
(٢) تفسير النسفي ٣٥٢/٤، روح المعاني ٢١٢/٣٠، التبيان في إعراب القرآن ٢٩٢/٢، إعراب القرآن للنحاس ص٧٥٢، إعراب ثلاثين سورة من القرآن ص١٥٤.
(٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص١٥٤.
(٤) بلاغة القرآن الكريم ٦٨٢/١٠.
(٥) تفسير البيضاوي ٥١٩/٥، الكشاف ٢٧٨/٤، تفسير القرطبي ١٥١/٢٠-١٥٢، تفسير أبي السعود ١٨٩/٩، فتح القدير ٤٨٠/٥.
(٦) المراجع السابقة، الصفحة نفسها.
(٧) معجم القراءات القرآنية ٤٥٢/٨.
(٨) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وقرأ أبان عن عاصم والكسائي وابن عباس والحسين بن علي وعبد الله بن مسلم وزيد بن علي والكلبي وأبو حيوة خليد بن نشيط وعيسى بن عمرو والسلمي وعلي بن الحسين والجحدري: (يُره): بضم الياء، أي: يريه الله إياه.

وقرأ عكرمة (يراه) بالألف فيهما وذلك على لغة من يرى الجزم بحذف الحركة المقدرة على حرف العلة كما حكى الأخفش، أو على ما يقال في غير القرآن من توهم أن (من): موصولة لا شرطية، كما قيل في قوله – تعالى-: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ﴾[1] في قراءة من أثبت ياء ﴿يَتَّقِ﴾ورفع ﴿وَيَصۡبِرۡ﴾.

ويجوز أن تكون الألف للإشباع، والوجه الأول أولى، لقوله -تعالى-: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا﴾[2]، الآية، والله – تعالى- أعلم[3].

(١) سورة يوسف: ٩٠.
(٢) آل عمران: ٣٠
(٣) تفسير القرطبي ١٤٨/٢٠-١٥٢، روح المعاني ٢١٤/٣٠، روح المعاني ٢١٤/٣٠، كتاب السبعة في القراءات ٦٩٤/١، معجم القراءات القرآنية ٤٥٢/٨.

وقوله: ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾: يعني في كتابه، ويسره ذلك[1].

وقيل ﴿يَرَهُۥ﴾ أي: يرى جزاءه؛ لأن ما عمله قد مضى وعدم فلا يرى، وأنشدوا:

إن مــن يعتــدي ويكســب إثمــاً وزن مثقــــال ذرة ســــيراه

ويجــازي بفعلــه الشــر شــراً ويفعــل الجميــل أيضــاً جــزاه

هكــذا قولـــه تبــارك ربــي فــي (إذا زلزلــت) وجــل ثنــاه[2]

كما يُقال: عاش فلان حتى رأى عمله، أي: جنى ثمرة ما قدّم[3]، وفيها تضمين؛ لأن الرؤية ليست مبلغ الأمر ومنتهاه، بل سيأتي بعدها حساب وجزاء، وقالوا: ﴿يَرَهُۥ﴾: أي يعرفه[4].

وأيا ما كان فمعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر، إما بمشاهدة جزائه أو مشاهدته نفسه[5].

وفي هذه الآية إشارة إلى أن الإنسان حينئذ لا يخفى عليه من عمله صغير ولا كبير، ويعلم أنه سيجازى بكل قليل وكثير[6].

(١) الدر المنثور ٨/٥٩٥.
(٢) تفسير القرطبي ٢٠/١٥٢.
(٣) تفسير جزء عم ص١٠٦.
(٤) النكت والعيون على تفسير الماوردي ٦/٣٢٠.
(٥) تفسير أبي السعود ٩/١٨٩.
(٦) النكت والعيون على تفسير الماوردي ٦/٣٢١.

قلت: قال: ﴿يَرَهُۥ﴾، ولم يقل: "يبصره"، لأن البصر صحة الرؤية، ولا يعني بالضرورة وجود الشيء المشاهد[1]، لذلك نقول: حاسة البصر، ولا نقول: حاسة الرؤية.

وكان إطلاق المفعول بهاء الضمير دون ذكره أو تحديده مقصوداً؛ لأن في ذلك إشارة بأن المؤمن سيرى حسناته وسيئاته، بالمقدار الذي فعله، فتغفر سيئاته ويجازى على حسناته، والكافر يرى حسناته وسيئاته بالمقدار الذي فعله، فيجعل الله حسناته هباءً منثوراً، ويعاقب على حسناته، وكان الفعل ﴿يَرَهُۥ﴾، أنسب من فعل "يجازى عليه"؛ لأنه سيحبط خير الكافر، ويصفح عن شر المؤمن، -إن شاء-.

- ما يوافق هذه الآيات من الأحاديث:

- عن عدي بن حاتم –رضي الله عنه- عن النبي - ﷺ- قال: "اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة"[2].
- وقال - ﷺ-: "لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط"[3].
- وقال - ﷺ-: "يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة"[4] -يعني ظلفها-
- وفي الحديث الآخر: "ردوا السائل ولو بظلف محرَّق"[5].
- وعن عائشة –رضي الله عنها- وغيرها أن النبي -ﷺ- كان يقول: "إياكم

(١) الفروق في اللغة ص١٢٠.

(٢) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب الأدب، باب طيب الكلام، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة.

(٣) صحيح. رواه الطيالسي وابن حبان، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث (٩٨).

(٤) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب تحقرن جارة لجارتها، ومسلم، كتاب الزكاة، باب الصدقة ولو بالقليل.

(٥) صحيح. رواه أحمد في المسند، والبخاري في التاريخ، وصححه الألباني. انظر صحيح الجامع الصغير وزيادته حديث (٥٨١٥).

ومحقرات الذنوب"[١].

- وعن أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيعطيه بها في الدنيا فإذا كان يوم القيامة لم تكن له حسنة"[٢].

➢ وفي هذه الآية مسائل:

♦ الأولى: قال ابن مسعود: هذه أحكم آية في القرآن، وصدق، وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية؛ القائلون بالعموم، ومن لم يقل به، وروى كعب الأحبار أنه قال: لقد أنزل الله على محمد آيتين أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾.

قال الشيخ أبو مدين في قوله – تعالى-: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾، قال: في الحال قبل المآل[٣].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله - ﷺ- سئل عن الحُمُر –أي عن صدقتها-، قال: "ما أنزل الله علي فيها إلا هذه الآية الفاذة الجامعة: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾"[٤].

---

(١) صحيح. رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجة وغيرهم بأسانيد مختلفة، وصححه الألباني وقال: إسناده على شرط الشيخين، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٠/٩.

(٢) تفسير الطبري ٢٧٠/٣٠.

(٣) تفسير القرطبي ١٥٢/٢٠، الدر المنثور ٥٩٦/٨، تفسير الثعالبي ٤٣٤/٤، تفسير البغوي ٥١٦/٤، فتح القدير ٤٨١/٥، تفسير النسفي ٣٥٣/٤.

(٤) متفق عليه. رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة.

♦ الثانية: قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾: كان ابن عباس يقول: من يعمل من الكفار مثقال ذرة خيراً يره من الدنيا، ولا يثاب عليه في الآخرة، ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة مع عقاب الشرك.

ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه في الآخرة إذا مات ويتجاوز عنه، وإن عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ويضاعف له في الآخرة[1].

فالتُزم بكون المراد بـ(من) الأولى السعداء، وبـ(من) الثانية الأشقياء بناءً على أن ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ﴾ ...الخ: تفصيل لـ﴿يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾، وكان مفسراً بما حاصله: ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾[2]، فالمناسب أن يرجع كل فقرة إلى فرقة؛ لتطابق المفصل المجمل؛ ولأن الظاهر قوله - سبحانه-: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ﴾، و﴿وَمَن يَعۡمَلۡ﴾بتكرير أداة الشرط يقتضي التغاير بين العاملين[3].

قال محمد بن كعب القرظي: فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير، ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده وأهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر؛ دليله: ما رواه العلماء الأثبات من حديث أنس -رضي الله عنه-: أن هذه الآية نزلت على النبي - ﷺ- وأبو بكر -رضي الله عنه- يأكل فأمسك وقال: يا رسول الله!، وإنا لنرى ما علمنا من خير وشر؟، قال: ما رأيت مما تكره فهو مثاقيل ذر الشر ويدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة.

---

(١) تفسير القرطبي ١٥٣/٢٠، تفسير الطبري ٢٦٨/٣٠-٢٦٩،الدر المنثور ٥٩٣/٨-٥٩٥.

(٢) سورة الشورى:٧.

(٣) روح المعاني ٢١٢/٣٠.

قال أبو إدريس: إن مصداقه في كتاب الله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾(١).

وعن عكرمة قال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ **هو الكافر يُعطى كتابه يوم القيامة، فينظر فيه، فيرى فيه كل حسنة عملها في الدنيا، فترد عليه حسناته، وذلك قول الله -تعالى-:** ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾(٢)**، فأبلس واسودّ وجهه**(٣).

وقال - عز وجل-: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(٤)**، وقال -تعالى-:** ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾(٥).

وادّعاء أن خيرهم الذي يرونه هو تخفيف العذاب؛ يدفعه قوله -تعالى-: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾(٦) **وقوله – سبحانه-:** ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن

---

(١) تفسير القرطبي ١٥٣/٢٠، تفسير الطبري ٢٦٨/٣٠-٢٦٩،الدر المنثور ٥٩٣/٨-٥٩٥، روح المعاني ٢١٢/٣٠، والآية من سورة الشورى:٣٠.
(٢) سورة الفرقان:٢٣.
(٣) الدر المنثور ٥٩٦/٨.
(٤) سورة هود:١٦.
(٥) سورة إبراهيم:١٨.
(٦) سورة البقرة:٨٦.

سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴾[1].

ولكن الله يوفي إليهم الصالحات في الدنيا، ودليله: قوله – تعالى-: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾[2]**، وقال:** ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[3]**، وكقوله – تعالى-:** ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[4].

وأما المؤمن فإنه يعطى كتابه بيمنيه يوم القيامة فيرى فيها كل خطيئة عملها في دار الدنيا، ثم يغفر له ذلك، وذلك قول الله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ ﴾[5]**، فابيض وجهه واشتد سروره[6].**

قال أبو أيوب الأنصاري: من عمل منكم خيراً فجزاؤه في الآخرة، ومن عمل منكم شراً يراه في الدنيا مصيبات وأمراضاً ومن يكن فيه مثقال ذرة من خير دخل الجنة[7].

---

(١) روح المعاني ٢١٢/٣٠، والآية من سورة النحل:٨٨.
(٢) سورة هود:١٥.
(٣) سورة الشورى:٢٠.
(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣٤٢/١٠. والآية من سورة النور:٣٩.
(٥) سورة الفرقان:٧٠.
(٦) الدر المنثور ٥٩٦/٨.
(٧) الدر المنثور ٥٩٤/٨، روح المعاني ٢١٢/٣٠.

وعن ابن عباس -رضي الله عنه- في قوله: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ﴾، الآية. قال: ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً ولا شراً في الدنيا إلا أراه الله إياه؛ فأما للمؤمن فيريه الله حسناته وسيئاته، فيغفر له من سيئاته ويثيبه على حسناته، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته فيرد حسناته ويعذبه بسيئاته[1].

واختار هذا الطيبي فقال: إنه يساعده النظم والمعنى والأسلوب؛ أما النظم: فإن قوله - تعالى-: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ ...﴾، الخ: تفصيل لما عقب به من قوله - سبحانه-: ﴿يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾، فيجب التوافق، والأعمال: جمع مضاف يفيد الشمول والاستغراق. و﴿يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ﴾مقيد بقوله - عز وجل-: ﴿أَشۡتَاتٗا﴾فيفيد أنهم على طرائق شتى للنزول في منازلهم من الجنة والنار بحسب أعمالهم المختلفة، ومن ثم كانت الجنة ذات درجات والنار ذات دركات.

وأما المعنى: فإنها وردت لبيان الاستقصاء في عرض الأعمال والجزاء عليها كقوله -تعالى-: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[2].

وأما الأسلوب: فإنها من الجوامع الحاوية لفوائد الدين أصلاً وفرعاً[3].

وعن الشعبي قال: قالت عائشة: يا رسول الله، إن عبد الله بن جدعان كان يصل الرحم ويفعل ويفعل، هل ذاك نافعه؟ قال: لا، إنه لم يقل يوماً: رب

(١) الدر المنثور ٥٩٥/٨، روح المعاني ٢١٢/٣٠.
(٢) سورة الأنبياء:٤٧.
(٣) روح المعاني ٢١٣/٣٠.

اغفر لي خطيئتي يوم الدين[١].

- وقال آخرون بالعموم في هاتين الآيتين، إلا أن منهم من قال في الكلام قيد مقدر ترك لظهوره والعلم به من آيات أخر، فالتقدير: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ إن لم يحبط، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ إن يكفر[٢].

ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب[٣].

♦ الثالثة: يحكى أن أعرابياً أخر ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ فقيل له: قدّمت وأخرت فقال:

خذا بطن هرشى أو فقاها فإنه كلا جانبي هرشى لهن طريق[٤]

قال الآلوسي: هي غفلة عن اللطائف القرآنية أو لعله أراد أنه فيما يتعلق بالعمل [أو الحكم] لا بأس به قدم أو أخر لا أن القراءة به جائزة[٥].

♦ الرابعة: عن إبراهيم التيمي قال: أدركت سبعين من أصحاب عبد الله أصغرهم الحارث بن سويد فسمعته يقرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾،

---

(١) صحيح. رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على كفر....

(٢) روح المعاني ٢١٢/٣٠.

(٣) تفسير البيضاوي ٥١٩/٥.

(٤) الكشاف ٢٧٨/٤، تفسير القرطبي ١٥٢/٢٠، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ص١٥٤، وقال: خذا جنب...، ويروى: خذا وجه...، والبيت يروى لعقيل بن علفة المرّي، وهرشى: اسم موضع.أ.هـ.
والمعنى: اسلكا طريق هرشى الأمامية أو الأخرى فكلا الطريقين لهدف واحد، وأشار فيه إلى أن المعنى واحد، وإن عُكس اللفظ.

(٥) روح المعاني ٢١٤/٣٠.

حتى بلغ إلى ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ قال: إن هذا إحصاء شديد[1].

♦ الخامسة: لقائل أن يقول: إذا كان الأمر إلى هذا الحد فأين الكرم؟، والجواب: أن هذا هو الكرم؛ لأن المعصية وإن قلّت ففيها استخفاف، والكريم لا يحتمله، وفي الطاعة تعظيم، وإن قلّ فالكريم لا يضيّعه، وكأن الله – سبحانه- يقول: لا تحسَب مثقال الذرة من الخير صغيراً، فإنك مع لؤمك وضعفك لم تضيع مني ذرة، بل اعتبرتها ونظرت فيها، واستدللت بها على ذاتي وصفاتي واتخذتها مركباً به وصلت إليّ، فإذا لم تضيع ذرتي أفأضيع ذرتك؟!.

ثم التحقيق أن المقصود هو النية والقصد، فإذا كان العمل قليلاً لكن النية خالصة فقد حصل المطلوب، وإن كان العمل كثيراً والنية دائرة فالمقصود فائت، ومن ذلك ما روي عن كعب: لا تحقروا من شيئاً من المعروف، فإن رجلاً دخل الجنة بإعارة إبرة في سبيل الله، وإن امرأة أعانت بحبة في بناء بيت المقدس فدخلت الجنة[2].

والأحاديث التي ذكرنا آنفاً في معنى هذه الآية كثيرة.

قلت: وجائز أن يكون هذا العدل، وأما الكرم والفضل فيكون بعد الحساب، فإنه يرى مآل أعماله، والله يغفرها بعد ذلك أو يضاعفها بكرمه وعفوه لمن يشاء.

ويمكن أن يكون هذا الأصل، والله يتجاوز بعد ذلك عمن يشاء.

♦ السادسة: قال الإمام السيوطي: انظر إلى سورة الزلزلة كيف بُدئت بأهوال القيامة وختمت بقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾؛ لأن هذه الآيات آخر من يقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع

---

(١) تفسير الطبري ٢٧٠/٣٠، الدر المنثور ٥٩٦/٨، أحكام القرآن ٣٣١/٤.
(٢) التفسير الكبير ٢٥٧/٢١.

بانتهاء الكلام، حتى يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد؛ من أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد إلى غير ذلك كتفصيل جملة المطلوب...[1].

وقد شرف الله - تعالى- نبيه - ﷺ- في سورة الزلزلة بثلاثة أنواع: إخبار الأرض بطاعة أمته، ورؤيتهم أعمالهم، ووصولهم إلى ثوابها حتى وزن الذرة[2].

والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) الإتقان ٢/٢٨٦-٢٨٧.
(٢) أسرار ترتيب القرآن ١/١٦٣.

خاتمة

لقد كان موضوع سورة الزلزلة – على الرغم من مدنيتها- في الترغيب والترهيب، وتكلمت عن أهوال القيامة والبعث والنشور، في عهد غلب على الوحي فيه تفصيل الأحكام الفقهية، والأحوال الشخصية.

وقد جاءت في سياق يجمع ملخصاً جامعاً للوصايا المكية، والأحكام الفقهية؛ فجمعت من الترغيب والترهيب أول مشاهد القيامة في بدايتها، بطريقة تدفع السامع إلى الزهد في الدنيا والبعد عنها، والرغبة في الآخرة؛ لذلك سماها النبي - ﷺ-: الجامعة الفاذة؛ لأنها جمعت بين النمطين المكي والمدني، لكنها تميزت بألفاظ وعبارات عالية الجرس، محكمة المباني، عميقة المعاني، قصيرة العبارات، سردت الأحداث بشكل سريع ومتكامل، وأعطت للسامع صورة من صور البعث وجعلته يتعايش مع هذا المشهد، ويستشعر جوانبه، حتى ذهبت بتفكيره وتصويره كل مذهب، وهيأت عواطفه لأن تبحث عن الأمن والخلاص من تلك الأحداث المتوالية، حتى أوصلته لأن يسأل في قرارة نفسه عن خروجه واجتيازه لهذا الموقف الذي لن يتخلف عنه أحد.

ولما وضعت السامع تحت هذا التأثّر والتساؤل، والرغبة في المعرفة، وهيأته نفسياً لاستقبال الحل وتقبله والبحث عنه؛ أعطته الآيتان الأخيرتان إجابة تحمل قاعدة جامعة مجملة مختصرة، تغنيه عن كثير من التفصيلات الفقهية، والوصايا الأخلاقية، وغيرها، فأوصتاه بعمل الخير بكل دقائقه وتفصيلاته، وتجنب الشر بكل دقائقه وتفصيلاته، دون الاستخفاف بعواقب أي منهما مهما دقّ أو صغُر.

فأتت هذه السورة بصورة تجمع في أولها سياقاً مكياً؛ بالترغيب والترهيب وأهوال القيامة، وفي آخرها سياقاً مدنياً يضع قاعدة عامةً تتمايز من خلالها الأعمال الصالحة عن غيرها، وتبين عواقب كل منها.

كما أن هاتين الآيتين اختصرتا أحداث القيامة بمجملها؛ كالعرض والحساب والصراط والجنة والنار وغيرها، في قوله تعالى: ﴿يَرَهُۥ﴾ فهذه الرؤية تدخل في طياتها تلك الأحداث الغيبية.

لذلك كانت سورة الزلزلة من أعظم السور القرآنية وأشدها تأثيراً في السامع، والقاري، فكانت كما وصفها النبي - ﷺ-: جامعة فاذة.

نسأل الله العظيم، أن يجعلنا ممن لهم الأمن في الآخرة، وهم مهتدون في الدنيا، وأن يجعلنا ممن يرى أعمالنا خيراً عند الحساب، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيد الخلق، وناطق الحق، محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه على هديه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

فهرس المصادر والمراجع

١. إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، محمد بن محمد بن محمد الغزي (ت١٠٦١هـ)، [مجلدان]، الفاروق الحديثة، القاهرة-مصر، ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى، تحقيق خليل محمد العربي.

٢. أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت٥٤٣هـ)، [مجلد]، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، تحقيق عبد الرزاق المهدي.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي، أبو السعود (ت٩٥١هـ)، [٩مجلدات]، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

٤. أسرار التكرار في القرآن، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، [مجلد]، دار الاعتصام، القاهرة-مصر، ١٣٩٦هـ، الطبعة الثانية، تحقيق عبد القادر أحمد عطا.

٥. أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، أبو الفضل (ت٩١١هـ)، [مجلد]، دار الاعتصام، القاهرة-مصر، تحقيق عبد القادر أحمد عطا.

٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، [١٠مجلدات]، مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العملية والإفتاء والإرشاد، الرياض-السعودية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٧. إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ)، [٣مجلدات]، مطبعة العاني، بغداد-العراق، تحقيق زهير غازي زاهد.

٨. إعراب القراءات الشواذ، أبو البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، [مجلدان]، عالم الكتب، بيروت-لبنان، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، الطبعة الأولى، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز.

٩. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، أبو عبد الله الحسين بن أحمد

المعروف بابن خالويه (ت٣٧٠هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت-لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٠. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله (ت٧٩٤هـ)، [٤مجلدات]، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٣٩١هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١١. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء محمد الدين عبد الله بن أبي عبد الله الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، إحياء الكتب العربية، تحقيق علي محمد البجاوي.

١٢. التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري (ت٨١٥هـ)، دار الصحابة للتراث، القاهرة-مصر، ١٩٩٢م، الطبعة الأولى، تحقيق فتحي أنور الدابولي.

١٣. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، [٣٠مجلداً]، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.

١٤. الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ)، [٤ مجلدات]، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، تحقيق إبراهيم شمس الدين.

١٥. التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، [٢١مجلداً]، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، تحقيق مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي.

١٦. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، [٢٩مجلداً]، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت-لبنان ودمشق-سوريا.

١٧. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت٢٥٦)، دار ابن كثير،اليمامة- بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الطبعة الثالثة، [٦ مجلدات]، تحقيق مصطفى ديب البغا.

١٨. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت٢٧٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [٥مجلدات]،

تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٩. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، أبو عبد الله (ت٦٧١هـ)، [٢٠مجلداً]، دار الشعب، القاهرة-مصر، ١٣٧٢هـ،الطبعة الثانية، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني.

٢٠. الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي (ت٣٢٧ز)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م، الطبعة الأولى، [٩مجلدات].

٢١. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.

٢٢. الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت٩١١)، [٨مجلدات]، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٩٣م.

٢٣. الدرر المبثثة في الغرر المثلثة (المثلث المتفق المعاني)، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، [مجلد]، دار اللواء، الرياض-السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، تحقيق علي حسين البواب.

٢٤. الشواهد الشعرية في تفسير القرطبي، عبد العال سالم مكرم، [مجلد]، عالم الكتب، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢٥. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدى، دار الرشيد للنشر، العراق، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي

٢٦. الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، الحسن بنعبد الله بن سهل بن سعيد (ت٣٩٥هـ)، [مجلد]، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، تحقيق جمال عبد الغني مدغمش.

٢٧. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي.

٢٨. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ)،

ويليه: الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف، أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، [مجلد]، دار المعرفة، بيروت-لبنان.

٢٩. الناسخ والمنسوخ، قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، أبو الخطاب (ت١١٧هـ)، [مجلد]، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى، تحقيق حاتم الضامن.

٣٠. الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة بن نصر المقّري (ت٤١٠هـ)، [مجلد]، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٤٠٤هـ، الطبعة الأولى، تحقيق زهير الشاويش ومحمد كنعان.

٣١. النكت والعيون على تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، [٦مجلدات]، مؤسسة الكتب العلمية الثقافية ودار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، راجعه وعلّق عليه عبد المقصود عبد الرحيم.

٣٢. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، أبو الحسن (ت٤٦٨هـ)، [مجلدان]، دار القلم والدار الشامية، دمشق وبيروت، ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى، تحقيق صفوان عدنان داوودي.

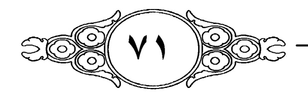
٣٣. بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، إعراباً وتفسيراً بإيجاز، إعداد بهجت عبد الواحد الشيخلي، [١٠مجلدات]، مكتبة دنديس، عمان-الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٣٤. تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، [١٥مجلداً]، من مطبوعات، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٣٥. تفسير البيضاوي، للإمام البيضاوي (ت٧٩١)، [٥مجلدات]، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة.

٣٦. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، [١٧مجلداً]، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، رقّمه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٧. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء القرشي



الدمشقي (ت٧٧٤)، [٤مجلدات]، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤٠١هـ.

٣٨. تفسير القرآن، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، [مجلدان]، مكتبة الرشد، الرياض-السعودية، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، تحقيق مصطفى مسلم محمد.

٣٩. تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، [١٠مجلدات]، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، خرج أحاديثه وآياته باسل عيون السود.

٤٠. تفسير النسفي، الإمام النسفي، [٤مجلدات].

٤١. تفسير جزء عم، محمد عبده، [مجلد]، مطابع الشعب، مصر، راجعه على الرسم العثماني عامر السيد عثمان.

٤٢. تفسير روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي (ت١١٣٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، [١٠مجلدات]، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، تحقيق أحمد عبيدو عناية.

٤٣. تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي التابعي، أبو الحجاج (ت١٠٤هـ)، [مجلدان]، المنشورات العلمية، بيروت-لبنان، تحقيق عبد الرحمن الطاهر محمد السورتي.

٤٤. تفسير من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله، [٢٤مجلداً]، دار الملاك، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٨٨م.

٤٥. تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، [مجلد]، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، ١٩٨٦م، تحقيق علي محمود مقلّد.

٤٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، أبو جعفر (ت٣١٠هـ)، [٣٠مجلداً]، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤٠٥هـ.

٤٧. حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد، عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي (ت١١٩٥)، ناصر الدين عبد الله بنعمر بن محمد الشيرازي (ت٦٨٥هـ)، مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي (ت٨٨٠هـ)، [٢٠مجلداً]، دار الكتب العلمية،

بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ضبط وتصحيح وتخريج عبد الله محمد ومحمد عمر.

٤٨. روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، محمود الآلوسي أبو الفضل (ت١٢٧٠)، [٣٠مجلداً]، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

٤٩. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، [٩مجلدات]، المكتب الأسلامي، بيروت-لبنان، ١٤٠٤هـ، الطبعة الثالثة.

٥٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤١٩هـ)، [٧مجلدات]، مكتبة المعارف، الرياض.

٥١. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (ت٢٧٥)، دار الفكر، [٤مجلدات]، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٥٢. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت٢٧٣)، دار الفكر- بيروت، [مجلدان]، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

٥٣. شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، [١٥ مجلد]، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش.

٥٤. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤١٩هـ)، [مجلدان]، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، أشرف على طبعة زهير الشاويش.

٥٥. صفة صلاة النبي، محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤١٩هـ)، [مجلد]، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.

٥٦. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤١٩هـ)، [مجلد]، المكتب الإسلامي،بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، أشرف على طبعة زهير الشاويش.

٥٧. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدارية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، [٥مجلدات]، دار الفكر، بيروت.

٥٨. فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي، أبو عبد الله (ت٢٤٣هـ)، [مجلد]، دار الكندي ودار الفكر، بيروت-لبنان، ١٣٩٨هـ، الطبعة الثانية، تحقيق حسين القوتلي.

٥٩. قبس من نور القرآن الكريم، محمد علي الصابوني، دار السلام، القاهرة-مصر، [١٦جزء في ٧مجلدات]، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٦٠. كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي (ت٣٢٤هـ)، [مجلد]، دار المعارف، القاهرة-مصر، ١٤٠٠هـ الطبعة الثانية، تحقيق شوقي ضيف.

٦١. كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات، نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي (ت٥٤٣هـ)، [مجلدان]، دار عمار، عمان-الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، تحقيق عبد القادر عبد الرحمن السعدي.

٦٢. لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، أبو الفضل (ت٩١١هـ)، [مجلد]، دار إحياء العلوم، بيروت-لبنان.

٦٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري (ت٧١١هـ)، [١٥مجلداً]، دار صادر،بيروت-لبنان، الطبعة الأولى.

٦٤. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٧٢١هـ)، [مجلد]، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، تحقيق محمود خاطر.

٦٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت٢٤١)، مؤسسة قرطبة- مصر، [٦مجلدات].

٦٦. مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، أبو محمد (ت٤٣٧هـ)، [مجلدان]، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ١٤٠٥هـ، الطبعة الثانية، تحقيق حاتم صالح الضامن.

٦٧. معالم التنزيل، الحسين بن مسعود الفراء البغوي، أبو محمد

(ت٥١٦هـ)، [٤مجلدات]، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الطبعة الثانية، تحقيق خالد العك ومروان سوار.

٦٨. معجم القراءات القرآنية، إعداد أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، [٥مجلدات]، عالم الكتب، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.

٦٩. معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، مفهوم شامل مع تحديد الدلالات، محمد حسن الشريف، [٣مجلدات]، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٧٠. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ)، [٨مجلدات]، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي.

٧١. نهج البيان عن كشف معاني القرآن، محمد الحسن الشيباني (ت في القرن السابع)، دار الهادي، الطبعة الأولى، ١٣٧٧هـ، قم-إيران، تحقيق حسين دركاهي.

فهرس الموضوعات